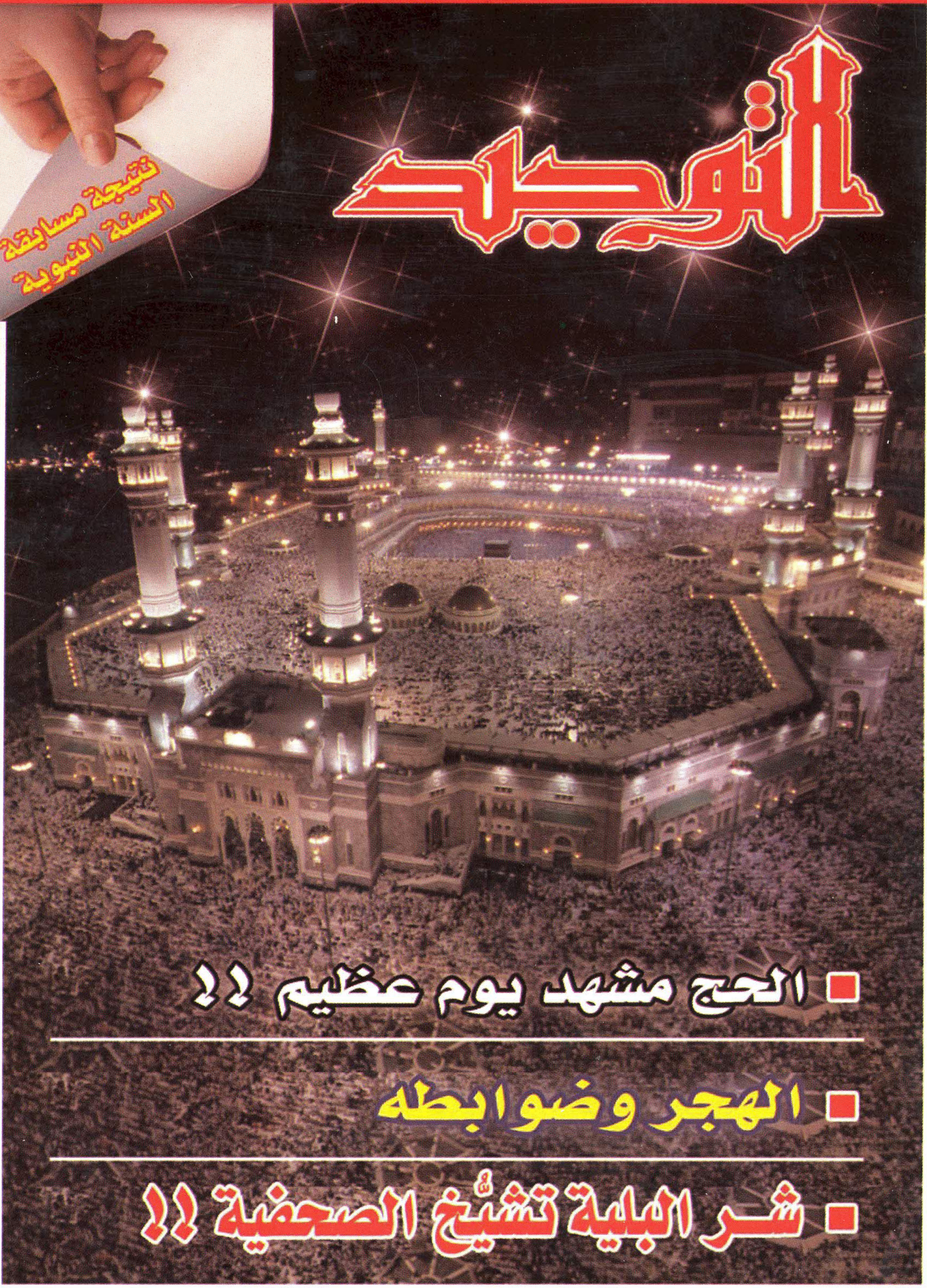
■ ضياع الأمانة أمارة على قرب الساعة !!

# التوحيد

مجلة ■ إسلامية ■ ثقافية ■ شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٤٨٠ - السنة الأربعون - ذو الحجة ١٤٣٢ هـ - الثمن جنيهان

نتيجة مسابقة السنة النبوية



■ الحج مشهد يوم عظيم !!

■ الهجر وضوابطه

■ شر البلية تشيُّخ الصحفية !!

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

د. عبدالله شاكر الجنيدي

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الأربعون

العدد ٤٨٠ ذو الحجة ١٤٣٢ هـ

المشرف العام

د. عبدالعظيم بدوي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني محمد

جمال عبدالرحمن

معاوية محمد هيكل

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١. في الداخل ٣٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢. في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

"السلام عليكم"

## موائد الحرمان !!

كان الوجهاء في قريب الزمان، يُعدُّون في رمضان؛ موائد في كل مكان، يعلقون عليها لافتات تلفت نظر العميان، مكتوبٌ عليها: «موائد الرحمن»، والأمر حتى الآن لا غرابة فيه ولا نكران.

لكن الذي يثير النفس والوجدان، ما اتضح للرؤية والعيان، أن سبب هذه الموائد؛ بمثابة الدعاية والإعلان، عن المرشحين للبرلمان، أنهم أهل فضل وإحسان، وأصحاب جود وامتنان، من جيوبهم لا من جيوب السلطان، ولا من النفاق ولا الرشوة ولا كيد الشيطان، فلما أذن الرحمن واستدار الزمان، سقط السلطان، وانحل المجلسان، وتفرق الأعوان، فخلت الموائد إلا من الذُّباب والفئران، وظهر للعيان؛ أنها موائد الحرمان لا موائد الرحمن!!

فما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

**التحرير**



مجلة التوحيد

لا يستغني عنها مسلم

المركز العام: هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

التحرير: ٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات: ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ SHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



في هذا العدد





■ بشرى سارة

تعلن إدارة مجلة التوحيد للإخوة الكرام قراء المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء. لذا نعلن عن استقبال أسئلة القراء عن الفتاوى وكل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى بالجماعة ونشرها بالمجلة حتى تعم الفائدة على البريد الإلكتروني التالي:
Q.TAWHEED@YAHOO.COM



التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

# ضياع الأمانة أمارة على قرب الساعة

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين.. وبعدُ:

الأمانة من الأسس الأخلاقية التي أمر بها الإسلام، وهي خلق ثابت في النفس يبتعد به الإنسان عما ليس له به حق، وهي ضد الخيانة، وعرفها الكفوي بقوله: «كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة كالصلاة والزكاة والصيام وأداء الدين، وأوكدها الودائع». [الكليات: ١٧٦].

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: « إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ » [الأحزاب:٧٢]، «الأمانة: تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور، وقد اختلف في تفاصيل بعضها على أقوال، فقال ابن مسعود: هي في أمانات الأموال كالودائع وغيرها، وعنه أنها في كل الفرائض، وأشدها أمانة المال». [تفسير القرطبي: ٥٣٣٥/٨].

والمتتبع لأقوال أهل العلم يرى اتفاق كلمتهم على أن التكاليف الشرعية هي الأمانة المشار إليها في الآية، وسرُّ التعبير عنها «بالأمانة» تنبيهًا على أنها حقوق يجب أن تراعى، وأن يحافظ عليها، ويحرم الإخلال بشيء من حقوقها، وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن حبنكة بعض مجالات الأمانة، فقال: «الدِّين، والأعراض، والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية، والشهادة والقضاء، ونقل الحديث والأسرار، والرسالات والسمع والنظر وسائر الحواس». [الأخلاق وأسسها: ٦٤٦/١].

والأمانة من أبرز سمات الأنبياء والمرسلين، وقد أخبرنا الله في كتابه عن غير واحد منهم أنه كان يقول لقومه: « إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ » [الشعراء: ١٠٧]

كما أخبرنا سبحانه عن نبيه وكليمه موسى عليه السلام أنه قال لفرعون وقومه: « أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ » [الدخان:١٨]

وقد كان الحظ الأوفى من الأمانة لرسول الله محمد ﷺ، وقد سماه قومه «بالأمين» ﷺ، وقد اشتهر بذلك بينهم قبل البعثة وبعدها، وترتب على ذلك وضع أماناتهم عنده، وقد صدق صلى الله عليه وسلم معهم في كل شيء، ومن ذلك

## كان الحظ الأوفى من الأمانة لرسول الله ﷺ وقد سماه قومه بالأمين، واشتهر بذلك قبل البعثة وبعدها

ردّه للودائع والأمانات التي كانت لديه للمشركين في موقف يعجب منه الناظر، حيث تآمروا على قتله ليلة الهجرة، ومع ذلك أبقى ابن عمه عليًا - رضي الله عنه - ليرد الأمانات إلى أهلها وأصحابها، وهذا منه صلى الله عليه وسلم بيان عملي أنه أكثر الناس أمانة وصدقًا.

والوحي الذي نزل إليه من ربه نزل به جبريل الأمين، وقد وصفه بذلك، فقال: «وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾» [الشعراء:١٩٢-١٩٤]

وقد وصف الله عباده المؤمنين برعاية العهد والأمانة في موضعين من كتابه بلفظ واحد، فقال: «وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾» [المعارج:٣٢]

والآية في الموطن الأول -في أول سورة المؤمنون- سيقت في بيان صفات المؤمنين المفلحين الوارثين الفردوس.

وقد أمر الله بأداء الأمانة وإعطاء الحقوق لمستحقيها في آيات كثيرة منها قول الله تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾» [النساء:٥٨]

وقد أفادت الآية وجوب تأدية الأمانات إلى أصحابها ومستحقيها، وتسمى الودائع أمانات؛ لأنها لا تؤدي إلا بخُلق الأمانة، وهذه الأمانات تشمل جميع الحقوق المتعلقة بذمم الناس، سواء كانت حقوقًا لله أو حقوقًا لغيره، وقد ذكر القرطبي - رحمه الله - أن هذه الآية من أمهات الأحكام المتضمنة لجميع الدين والشرع، وأنها عامة في جميع الناس تتناول الولاة فيما عهد إليهم من الأمانات في قسمة الأموال، ورد المظالم، والحكم بالعدل، كما تتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع والتحرز في الشهادات، ثم نقل عن البراء بن عازب وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب رضي الله عنهم أن الأمانة عامة في كل شيء، وقال: هذا إجماع. [تفسير القرطبي: ١٨٢٥/٣].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك». [أخرجه أحمد وأبو داود وصححه الألباني].

وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلوات والزكوات، والصيام، والكفارات والنذور، وغير ذلك، مما هو مؤتمن عليه، ولا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض بالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك، فأمر الله عز وجل بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» [مسلم ٢٥٨٢]. [انتهى من تفسير ابن كثير ٧٠٨/١].

وفي آية أخرى يأمر الله بأداء الأمانة، حتى ولو لم يكن هناك شهادة

## قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة» قيل: وكيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

أو كتابة، قال الله تعالى: «وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ» [البقرة:٢٨٣]، ومعنى الآية: لو أن أحدًا منكم ائتمن آخر على شيء، فعلى المؤتمن أن يؤدي الأمانة إلى من ائتمنه، وليتق الله ربه، فلا يخن شيئًا منها، وقد حذر القرآن صراحة من الخيانة، وهي مناقضة للأمانة، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾» [الأنفال:٢٧]، كما أعلمنا النبي عليه الصلاة والسلام أن الخيانة من صفات المنافقين، فقال كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان». [متفق عليه: البخاري ٢٦٨٢، ومسلم ١٠٧].

وفي هذا الحديث تحذير للمؤمنين من هذه الخصال التي قد تُفضي إلى حقيقة النفاق والعياذ بالله تعالى.

وضياع الأمانة أمارة على قرب الساعة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدّث القوم، جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: فإذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». [البخاري: ٥٩].

وقد ظهرت ملامح هذا الحديث في دنيا الناس اليوم، والمراد بكلمة «الأمر» الواردة في الحديث: جنس الأمور التي تتعلق بالدين، والخلافة، والإمارة، والقضاء، والفتيا، والصدق في القول والعمل، وما يجري في المعاملات بين الله وبين خلقه، وغير ذلك، وقد ذكر الإمام البخاري هذا الحديث تحت باب عنونه بقوله: «باب رفع الأمانة»، قال ابن حجر رحمه الله: «والمراد برفعها إذهابها بحيث يكون الأمين معدومًا أو شبه المعدوم». [فتح الباري ١١/٣٣٣].

كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الساعة لن تقوم حتى يخون الأمين، ويؤتمن الخائن، وهذا من فساد الخلق وذهاب المروءة والحياء بين الناس، وقد أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله يبغض الفحش والتفحش والذي نفس محمد بيده! لا تقوم الساعة حتى يخون الأمين، ويؤتمن الخائن، وحتى يظهر الفحش والتفحش، وقطيعة الأرحام وسوء الجوار والذي نفس محمد بيده إن مثل المؤمن كمثل القطعة من الذهب نفخ عليها صاحبها فلم تغير ولم تنقص، والذي نفس محمد بيده إن مثل المؤمن كمثل النخلة أكلت طيبا ووضعت طيبا ووقعت فلم تكسر ولم تفسد». [مسند أحمد: ١٩٩/٢، وصححه الألباني].

وقد بين الحديث أن خيانة الأمانة لا تقع إلا من أصحاب الأخلاق المذمومة، وأن المؤمن نافع حيث وجد وأينما كان،

**في الآونة الأخيرة خاضت وسائل الإعلام في أنصار السنة متهمين إياها بالسعي في زعزعة استقرار البلاد. من خلال ما يرد إليها من مساعدات للأيتام والفقراء وبناء المساجد والمستشفيات. وهذا بهتان وخيانة وطعن في الصدق والأمانة. ولا حول ولا قوة إلا بالله.**

والخائنون للأمانة هم حثالة الناس، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « كيف بكم وبزمان أو يوشك أن يأتي زمان يُغربل الناس فيه غربلة، تبقى حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فكانوا هكذا. وشبك بين أصابعه، فقالوا: كيف بنا يا رسول الله؟ قال: تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم». [أبو داود ٤٣٤٢ وصححه الألباني].

ومعنى: «يُغربل الناس فيه غربلة» أي: يذهب خيارهم ويبقى شرارهم وأرذالهم، كما أن الغربال يصفي الدقيق ويبقي الحثالة، والحثالة الرديء من كل شيء، وإذا كان هذا حال ووصف الخائنين للأمانة، فالواجب على كل مسلم رعايتها والقيام بحقها حتى لا يكون مع هؤلاء الخائنين، والأمانات الواجب أداؤها كثيرة، منها: أمانة العبد مع ربه ومولاه، وهي فيما عهد إليه بحفظه، وإتيان ما أمر الله به، والانتهاء عما نهى عنه.

ومنها: أمانة العبد مع الناس، ويدخل فيها رد الودائع، وعدم الغش والكذب، والصدق في القول والعمل، والحكم بين الناس بالحق والعدل، ومنها: أمانة الإنسان مع نفسه، وذلك بأن يختار لنفسه الأنفع والأصلح في الدين والدنيا.

ومن المعلوم أن رفاهية الشعوب وسعادتها وانتظام أمر معيشتها في تحقيق الأمانة، فهي دعامة بقاء الإنسان، ورافع أبنية العز والسلطان، وأي أمة غابت عنها الأمانة أصيبت بالذل والمهانة، نسأل الله العافية والسلامة.

وفي الآونة الأخيرة خاضت بعض وسائل الإعلام في جماعة أنصار السنة المحمدية، متهمين إياها بالسعي في زعزعة استقرار البلاد، وذلك من خلال ما يرد إليها من مساعدات للفقراء والأيتام، وبناء المساجد والمستشفيات، وغير ذلك.

وإن هذا - والله - من البهتان والخيانة، وطعن في الصدق والأمانة، ويا ليت الخائضين وقفوا على الحقيقة، أو رجعوا إلى المسئولين، وهذا واجب عليهم، والله سائلهم يوم الدين، قال تعالى: « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ » [الإسراء:٣٦].

ونحن مما نُسب إلينا - بحمد الله - براء، وعلى القائل البينة والدليل، ونود أن نعلم الجميع أننا جمعية مشهرة نعمل في النور، وتحت مظلة رسمية، وبإشراف من الجهات المعنية، ولنا في ذلك مدة من الزمن لم ينسب إلينا مرة سقطة أو خيانة، أو عُرف عنا مشاركات في مؤامرات تضر بالبلاد والعباد، وتاريخ الجماعة في ذلك معروف. وكنا في المواقف السابقة نصدر بيانات تعبر عن موقف الجماعة وسلوكها في المسائل الحادثة.

نسأل الله تعالى أن يسلّم بلادنا من كل سوء ومكروه، وأن يَمُنّ علينا بالأمن والإيمان والسعادة والإسلام، ونسأله أن يوفق المسئولين في ضبط استقرار البلاد، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

# الرئيس العام في حوار لـ.. التوحيد

●● الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. أما بعد..

فإن الفتن والبلايا منبهات وموقظات؛ تحمل الأمم على العودة إلى نفسها، والقيام بهمة إلى مراجعة مواقفها، ومسيرتها بجد ومصداقية، وصراحة وشفافية.

وإن إحباطات الماضي وخيبات الأمل عند الأمم الحية لا تقضي على إمكانات المستقبل، ولكنها تنبه إليها، بل تؤكدها وتثير فاعليتها، وقد قال الله عز وجل في ابتلاء يوم أُحد: «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ» [آل عمران: ١٤٠، ١٤١].

وجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر لها تاريخ عريق، مضيء بالعمل في ميدان الدعوة.. هذه الجماعة التي أمضت من عمرها أكثر من تسعين عاماً خرَّجت الآلاف من العلماء والفقهاء، والخطباء والدعاة؛ الذين يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كما أن لهذه الجماعة دوراً اجتماعياً إنسانياً نشطاً داخل المجتمع المصري، ولها أياد بيضاء مشرقة في كل ميدان خيري..

لكن الجماعة لم تسلم مؤخراً من بعض الاتهامات التي نُشرت في وسائل الإعلام.. فما هو موقف الجماعة من هذه التُّهَم؟ وما أهم أدوارها التي تقوم بها، وما رؤيتها للأحداث الدائرة حاليًا، هذا ما سنقف عليه من خلال لقاء مع فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن شاكر الجنيدي الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، متحدثًا عن منهج ودور ورسالة الجماعة، وموقفها مما أثير حولها. ●●

### الصراع قائم بين الحق والباطل

●● فضيلة الدكتور: خلال الثورة التي قامت في مصر كان لجماعة أنصار السنة المحمدية موقف ثابت لم يتغيّر بحسب الظروف والأجواء، ولعل الدور الأبرز للجماعة كان السعي لدرء الفتن عن البلاد، والعمل على استقرار مصر، بعيداً عن الولوج في المنزلقات التي لا يُحمد عقباها، ومع ذلك وجهت للجماعة الاتهامات، فمن وراء هذه الاتهامات التي وُجهت للجماعة والتي ليس لها أساس من الحقيقة؟

■ نحن نُرجع هذه الاتهامات الباطلة المكشوفة لأمرين:

الأمر الأول: هو رغبة البعض في تشويه الأعمال الاجتماعية والخيرية التي تقوم بها الجماعات الإسلامية الخيرية، وفي مقدمتها جماعة أنصار السنة المحمدية التي ترتكز على منهج السلف؛ كأصل من أصولها الذي قامت من أجله، وهناك ناس لا يرغبون أن تقوم هذه المؤسسات الإسلامية الداعية إلى الحق، ولا شك أننا في مجتمع مملوء بتيارات مختلفة، وبعضها مخالف للحق، والصراع قائم بين الحق والباطل إلى أن تقوم الساعة، ولكن الأمر كما قال الله عزَّ وجل: «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ» [الأنبياء: ١٨].

والحمد لله، الحقائق تتضح وتُعلن للناس، والجميع يشهد بذلك، وليس عندنا ما نخفيه، فكل عملنا ظاهر للجميع والمؤسسات في الدولة تعرف من هم أنصار السنة، وماذا يعملون.

- والأمر الثاني هو اتباع الهوى، واتباع الهوى يُضل، ويصرف عن الحق.

### أنصار السنة والتمويل الخارجي

●● لماذا الحملة الكبيرة التي يشنها المغرضون في قضية التمويل الخارجي ضد أنصار السنة، مع

■ لن نؤسس حزباً، ولن نشارك في الأحزاب.

■ نحن جماعة دعوة، ولا علاقة لنا بالأحزاب والحزبية، ولن ننصرف عن منهجنا.

■ حملات التشويه من العلمانيين ضد أنصار السنة المحمدية والتيارات الإسلامية ستبوء بالفشل !!

أجرى الحوار

**جمال سعد حاتم**

**إبراهيم رفعت**

أن الجماعة لها صفحة بيضاء ناصعة على مدار ما يقرب من تسعين عامًا في الدعوة؟!

■ في الحقيقة ليست أنصار السنة وحدها هي التي تُتَّهَم، بل هناك مؤسسات أخرى، وقد لا تدين بدين الإسلام، ومع ذلك اتُّهمت، ومن صدرت منه هذه التصريحات وعد أن يراجع مواقفه، والحمد لله وجدوا البراهين التي تدل على صدقنا في القول والعمل، وأننا لم نخرج عن النظام المتبع في معاملاتنا ومنهجنا بصورة عامة. وأننا ملتزمون بالأنظمة واللوائح، وليس عندنا شيء نخفيه.

### التقارير تبرئ أنصار السنة مما نسب إليها

●● ما هو موقفكم القانوني والإجراءات التي اتخذتموها لدرء الاتهامات التي نُسبت لأنصار السنة حول التمويل الخارجي، وخاصة الصادرة عن وزارة العدل؟ فقد ساق وزير العدل المصري جملة من الاتهامات لبعض المؤسسات؟ ما موقفكم منها؟ وماذا اتخذتم من إجراءات لوقف هذه الاتهامات التي وُجهت لكم؟

■ وزير العدل لم يسمِّ جماعة أنصار السنة ضمن المجموعة المتهمة أبداً، ولم يرد لنا أي ذكر على لسانه، وإنما كان تصريحه واضحًا ومعلنًا ومنشورًا ولم يتهمنا بشيء.. هذا أولاً، ولكن الاتهامات أو التصريحات التي وُجهت لجماعة أنصار السنة المحمدية جاءت من آخرين.. والدولة الآن تتولى المتابعة والتحقيق، وستعلن النتائج، ونحن سعداء بالنتائج؛ لأننا نعرف موقفنا ووضعنا، ونعرف النتائج، فقد وعدوا بإصدار تقارير تبرئ أنصار السنة من كل ذلك. ونحن واجهنا هذا في وسائل الإعلام بالمستندات الرسمية، وما نزال نواجه هؤلاء والحمد لله، والناس اقتنعوا بما ذكرنا لأنهم يعرفون الحقيقة، ونحن لا نعيش في شريعة الغاب، وإنما نحن نعيش في ظل دولة كانت تتابعنا فيها الأنظمة السابقة بدقة بالغة، وهذا أمر معلوم، وكثيرًا ما كانوا يثنون على أعمالنا، ويشكروننا على ما نقدمه من خدمات وإسهام في رفع المعاناة عن المواطنين عن طريق إيصال النفع إليهم، سواء في الجانب المادي، أو الجانب العلمي، والحمد لله على ذلك.

### دور أنصار السنة المحمدية في المرحلة القادمة

●● فضيلة الشيخ هذه الاتهامات هل يكون لها تأثير سلبي على مسار الجماعة في المرحلة القادمة أم ستكون بمثابة مصدر قوة؟

■ إن شاء الله نتوقع أن تكون هذه الصدمات والأزمات مصدر قوة، خاصة أنها أظهرتنا أمام العالم، وأننا بريئون من كل تهمة سِيقت، وأن موقفنا مشرِّف بفضل الله تعالى.

### أسباب الهجوم على أنصار السنة

●● فضيلة الشيخ: ما أبرز أسباب الهجوم على جماعة أنصار السنة بعينها؟

■ في الحقيقة لم يكن الهجوم على أنصار السنَّة فحسب، ولكن كان الهجوم على السلفية ومنهج الحق من فترة طويلة، ولعلكم سمعتم أن بعض الاتهامات الموجهة إليهم أنهم لا يحرصون على أمن وسلامة المجتمع. وهذا يدَّعيه بعض التحرريين أو العلمانيين أو غيرهم، وهم فشلوا في محاولة الطعن على السلفية بصورة عامة، فأرادوا أن ينتقلوا إلى الطعن في جماعة أنصار السنة المحمدية.

### أنصار السنة والعمل السياسي

●● هل هذه الأزمة ستدفع بأنصار السنة إلى أن يكون لها دور بارز في الأيام القادمة في العمل

السياسي والاجتماعي في مصر؟

■ نحن - والحمد لله - من أسبق الناس في مواجهة الواقع، ولا بد أن أبيّن هذا، وأنتم من خلال متابعاتكم لأعمالنا تعرفون هذا، ومن خلال ما نشرناه في مجلة التوحيد والرئيس السابق تنحى يوم ٢٠١١/٢/١١م وأنصار السنة دعت إلى اجتماع يوم ٢٠١١/٢/١٩م لكافة الأطياف الإسلامية داخل مصر، وفي العدد الذي صدر عقب هذا اللقاء من مجلة التوحيد، نقلتم بعض الآراء التي ذُكرت في هذا الاجتماع، وكان الغرض من الاجتماع تنسيق الجهود الإسلامية في مواجهة الواقع في مصر بعد التنحي، وضرورة أن تكون للمسلمين كلمة، وأن تصبغ هذه الدولة بالهوية الإسلامية القائمة على منهج التوسط والاعتدال، دون إفراط وغلو أو تفريط أيضاً.

والحمد لله نحن في مجلس شورى العلماء نجتمع، ونناقش ما يدور على الساحة، وما يجب أن نفعله خلال المرحلة المقبلة من منظور شرعي إسلامي، وننظر فيه إلى مآلات الأمور، وإلى المصالح المترتبة على القضايا التي تُثار، ونصدر في ذلك بيانات تنشر في حينها، ونوجّه فيه الأمة لكي يعودوا إلى الحق المؤيد بالدليل من كتاب الله وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

### تحكيم شريعة رب العالمين

●● فضيلة الدكتور عبد الله شاكر: بعد الاجتماع الدعوي الذي عُقد اليوم الأحد ٢٠١١/١٠/٢٣م وحضره فروع أنصار السنة في مصر لتوضيح الموقف من الأحداث الجارية، والانتخابات، وتجربة الأحزاب الإسلامية، هل لكم أن تحدثونا عما حدث في الاجتماع اليوم؟

■ يقول الدكتور: قد تكون الظروف اليوم صالحة لأن نقدم عملاً إيجابيًا نخدم به أمتنا وديننا، ولعلي أدمج حديثي عن الموقف من الانتخابات مع الموقف من الأحزاب؛ لارتباط الأمرين ببعض.

فقد صار من الممكن لكل من أراد أن يؤسس حزبًا أن يفعل، نحن أعلنا وبوضوح وصراحة على موقعنا، وفي مجلة التوحيد بيانًا بهذا الأمر صادرًا من مجلس شوري العلماء، يوضح رؤية الجماعة، ونحن نقول بأن لنا منهجًا نشير إليه وهو أصل أصيل، فنحن جمعية دعوية لم نشارك من قبل في أحزاب، وما دمنا لم نكن نشارك فلنقف جميعًا على هذا الأصل، فنحن لن نؤسس حزبًا، ولن نشارك في أحزاب، ولكن مع كل ذلك الساحة مليئة بمن يقوم بتأسيس أحزاب، فمن يؤسس حزبًا فنحن ندعوه إلى الله عز وجل، وقد كانت هناك أحزاب سابقة موجودة في النظام السابق، أما الذي جدَّ على الساحة أنه قد توسعت قاعدة هذه الأحزاب، وربما دخل فيها بعض الدعوات التي لم تدخل في هذا المجال من قبل، وقد جلسنا مع بعضهم وتناقشنا معهم، ونصحناهم، وأخبرونا بأن هذه ضرورة ملحة الآن؛ لعدم ترك المجال لغيرنا.

فالأحزاب سيتقدم من خلالها المرشحون لمجلس الشعب والشورى، وترك هذا المجال فارغًا ممن يصدع بكلمة الحق غير مستساغ، فإن ترك هذا المجال قد يحدث فجوة تؤدي إلى عدم قيام حياة كريمة شريفة لهذا البلد من خلال تسلط من لا يريدون الإسلام، أو يخافون تطبيق شريعته، أما السلبيات فيمكن التغلب عليها من خلال الحرص على تحري الحق في دقائق الأمور مثل قضية دخول المرأة البرلمان، وغيرها من الأمور.

### بيننا وبين إخواننا خيوط تواصل

●● فضيلة الشيخ: هل يعتبر الموقف من قضية الأحزاب موقفًا منهجيًا وعقديًا غير قابل للتغييرات في المرحلة القادمة؟

■ يقول الشيخ: أما بالنسبة لنا فنحن جمعية لها منهجها الأصيل، نتمسك به في الوقت الذي انصرف الناس فيه عن طلب العلم والدعوة إلى الله، فلندعُ، ونقدم النصيحة، وهي واجبة علينا، وبخاصة أن هؤلاء إخواننا، وقد نرتبط ببعضهم ارتباطًا وثيقًا من خلال الكثير من القواسم المشتركة، وربما يكون هناك بعض التفاوت في درجات التطبيق لهذا المنهج، ولكن لا ننكر أن بيننا وبين إخواننا من خيوط التواصل ما لا يمكن أن ينكر أو يحذف أو ينسى خاصة أننا نعيش في مجتمع واحد، ونسعى جميعًا إلى خدمة هذه الأمة، وإلى القيام بالحق.

### مؤازرة النافعين والصالحين في الانتخابات

●● فضيلة الشيخ: الأحزاب سوف يكون لها مرشحون في الانتخابات، هل من تنسيق تم الاتفاق عليه بينكم وبين تلك الأحزاب ذات المرجعية الإسلامية؟

■ يقول فضيلة الشيخ: الأحزاب سوف ترشح

رجالاً، ونحن قلنا: الخبرة من يَجِدُ في نفسه من أهل الفضل والخير، الخبير في المسائل السياسية أو الاقتصادية أو العلمية، أو الأدبية أو الاجتماعية مثلاً، لا بد من أن يترشح لمجلس الشعب أو الشورى، ووجهنا نداءً أيضًا لإخواننا من الدعاة والعلماء أن يربأوا بأنفسهم عن هذا حتى يتفرغوا لدعوتهم، وقد يرى الواحد منهم أن دخوله نافع ومفيد، فنسأل الله له ذلك، فلا بد أن يكون عندنا مرونة في التعامل مع الأمور، أو في تقييم وجهات نظر الآخرين، فنحن نقف وراء الصالحين، وهذه مسألة إيجابية.

### الموقف الإيجابي من الانتخابات

فهذا هو الموقف الإيجابي في الانتخابات، فنحن لا نريد أن يكون هناك شقاق أو نزاع في داخل الصف الإسلامي المتقدم للانتخابات، ومشاركتنا يجب أن تكون إيجابية في تقديم النافعين الصالحين الذين نأمل منهم أن يصبغوا هذه الدولة بالصبغة الإسلامية، أو على الأقل تتاح الفرصة لدعوة الناس إلى الله تبارك وتعالى، بدلاً من التضييق الذي عانت منه الدعوة إلى الله كثيرًا في بلادنا.

نحن عانينا في فترة من الفترات - وما نزال نعاني - من السخرية والاستهزاء عبر وسائل الإعلام المختلفة، التي نالت منا ومن إخواننا الذين ينتسبون إلى السنة، فإذا كانت هناك فرصة في أن يكون هناك رجال يحفظون أعراضنا من أن تمتهن بهذه الطريقة ويأخذون على أيدي السفهاء، فهذا أمر ندعو إليه، ولكن نتحرك من خلال رجال يكون لهم سلطة، ويمكن أن يؤثروا في صناعة القرار.

ودون خلاف فيما بيننا سنختار الصالحين المتقدمين في هذه الانتخابات تحت اسم الإسلام، فليس عندنا عصبية لأحد ولا حزبية ننقاد من ورائها لأحد، وأعلنا هذا للجميع، ولكن لا بد أن نسعى اليوم بنظر صائب إلى مصلحة هذه البلاد، وإلى نفع أهلها، وأن تُظل بمظلة الإسلام.

### مخاطر العمل السياسي

●● العمل السياسي له مخاطر جمة، ومن ينغمس في هذا العمل فإنه قد يفقد مصداقيته الدعوية، فهل لكم رؤية معينة في هذا التوجه؟

■ يقول الشيخ: لا شك أن العمل السياسي في هذه الأحوال قد تكتنفه بعض المخاطر، وقد تكون له بعض السلبيات، وعلى كل الأحوال نحن نُغلب النافع - بإذن الله - فالإيجابيات ندعمها، والسلبيات ننهى عنها ونحذر منها، وننصح إخواننا بعدم الوقوع فيها، فأمر بالمعروف بمعروف، ونهي عن المنكر بغير منكر، وبالتي هي أحسن هو سبيل المؤمنين.

### التعاون بين أنصار السنة والتيارات الإسلامية!!

●● ما مدى حجم التعاون بينكم وبين التيارات الإسلامية الأخرى، وهل هناك خلاف أو تعاون إيجابي؟

■ الحمد لله التعاون الإيجابي هو السائد؛ فقد استطعنا أن نصل فيه إلى درجة من الوفاق؛ للخروج من الأزمة التي تعيشها الأمة الإسلامية أو الأمة المصرية الآن، مع الاحتفاظ بهويتنا وشخصيتنا ومعتقداتنا، ونحن نتعاون مع الآخرين دون أن يخالف أحدُ شيئاً من منهجه.

ومن المعلوم أن أهل السنة والجماعة لهم منهج واضح، ومسلك صريح في التعامل مع القضايا الإسلامية، لكننا في المرحلة الأخيرة نتواصل مع التيارات الإسلامية في الحفاظ على هوية البلاد، والاجتماع الذي دعت إليه أنصار السنة جميع التيارات الإسلامية في يوم ٢٠١١/٢/١٩م كان السبب في أن تجتمع كلمة المسلمين على الحق وما نزال ننادي جميع التيارات الإسلامية أن ديننا الإسلام، ومرجعنا هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا نرجع عن هذا الأصل، ولن نخالف هذا المنهج، ونحن نتبع ولا نبتدع، ومن خرج عن هذا المنهج، وإن خالفنا، فإنه يجمعنا جميعاً الإسلام.

وإخواننا يكتبون في هذه الموضوعات في مجلة التوحيد، وقد كتبت مقالاً بعنوان (يا علماء الأمة! الزموا الكتاب والسنّة على منهج النبوة).

وغير ذلك من الأمور التي نوجهها للأمة وللعلماء، وإن شاء الله نساهم في أن يرجع الجميع للحق، قال تعالى: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» [النساء: ٥٩].

وما نزال ندعو إلى الاجتماع ونبذ الفرقة والخلاف، ونؤكد على تمسكنا بالكتاب والسنّة.

وانتهى اللقاء بعد أن ألقى الرئيس العام الضوء على كثير مما يشغل بال المسلمين في مصر والعالم الإسلامي، سائلين الله تبارك وتعالى أن يُعلي راية السُنَّة، وينصر من نصرها، ويخذل من خذلها، وأن يصلح الله البلاد والعباد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

# تفسير سورة ص

«صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا
وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ
الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا
وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ
امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦)
مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧)
أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل
لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ
الْوَهَّابِ (٩) أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (١٠) جُندٌ مَّا هُنَالِكَ
مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ
وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ
لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ
الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً
وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ (١٥)» [ص ١- ١٥].

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

نائب الرئيس العام




الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فقد انتهينا فيما سبق في حلقات التفسير من تفسير سورة الصافات، ونبدأ اليوم بفضل الله في تفسير سورة ص، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

## بين يدي السورة:

سورة مكية شأنها شأن السورة المكية فى الاهتمام بترسيخ العقيدة، وبيان أصول الدين، وأركان الإيمان، وقد ركزت السورة الكريمة على الأصول الثلاثة وهى التوحيد، والنبوة، والبعث بعد الموت.

ومن وجوه المناسبة بينها وبين سورة الصافات أن الله سبحانه وتعالى قال في خواتيم الصافات: «لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٩)» [الصافات ١٦٧- ١٦٩].

وكذلك استفتحت سورة ص بذكر الذكر الحكيم وكفر القوم به: «صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢)».

ومن المناسبة أيضاً أن الله سبحانه وتعالى قصَّ علينا فى سورة الصافات من قصص الأنبياء والمرسلين، وقصَّ علينا فى سورة ص من قصص من لم يقصصهم

علينا في سورة الصافات.

**شهادة الله عز وجل لرسوله بالرسالة:**

«ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ» الواو واو القسم، والله سبحانه وتعالى يقسم بالقرآن، ويصف القرآن بأنه «ذي الذكر»، والذكرُ هو الشرف، كما قال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: « وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ » [الزخرف: ٤٤]، وقال لقومه: «لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾» [الأنبياء: ١٠]، وقيل: الذكر مصدر بمعنى التذكرة، فالقرآن تذكرة وموعظة للناس أجمعين، يُذَكِّرهم بما يجب عليهم نحو خالقهم وبارئهم وفاطرهم سبحانه وتعالى، ويُذَكِّرهم بالطريق الموصلة إليه، ويذكرهم بما لهم عنده إذا أفضوا إليه من هذه الطريق، والقولان صحيحان، واللفظ يحتملهما.

وجواب القسم محذوف، تكلم المفسرون فيه كلاماً طويلاً، ولعل أرجح الأقوال أن جواب القسم المحذوف هنا هو المذكور في سورة يس، فإن الله تعالى قال: بسم الله الرحمن الرحيم «يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾»، وهنا قال: «ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ»، فالمقسم به واحد، وهو القرآن الحكيم ذو الذكر، والمقسم عليه -جواب القسم- ذُكِرَ في موضع، وحُذِفَ في الثاني استغناءً بذكره في الموضع الأول عن ذكره في الموضع الثاني.

«ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ» إنك يا نبينا لمن المرسلين، لا كما يقول قومك ساحر كذاب.

**أنواع العزة:**

فإذا كان القرآن ذكرى للناس وموعظة، فلماذا لم ينتفع به الذين كفروا:

«بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ» والعزة نوعان:

١- عزة حقيقية.

٢- عزة غير حقيقية.

أما العزة الحقيقية فهي المكتسبة بأسبابها الشرعية، كما قال تعالى: « مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ » [فاطر: ١٠]، أي فليطلبها من الله، فهو العزيز الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء، فمن كان عزيزاً بعزة الله فهذه هي العزة الحقيقية، ومن كان عزيزاً من غير طريق الله فليست عزته عزة حقيقية، بل هي عزة الغرور والكبرياء والأنفة، كما قال تعالى: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ»، فعزتهم هذه ليست عن طريق الله؛ لأنهم كفروا بالله، إنما هي عزة الغرور والكبرياء والأنفة، وكما قال تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ»، فهذه عزة مزيفة مزورة، وإنما العزة الحقيقية هي ما كانت عن طريق الله عز وجل ، بسلوك الطرق الشرعية التي أرشد الله تعالى إليها، وهي الإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: «يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾» [المنافقون: ٨].

«بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ» أي في حَمِيَّة وجاهلية، وعنجهية واستكبار، وشقاق، أي أنك في شق وهم في شق، كما قال تعالى: «ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ» [الحشر: ٤]، أي كانوا في شق غير الشق الذي فيه الله ورسوله.

**تحذير الكفار المعاصرين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم:**

أفلا يخافون أن يعذبهم الله تبارك وتعالى كما عذَّب الذين كفروا من قبلهم، لماذا يصرون على الكفر؟! ولماذا يصرون على العناد؟ ولماذا يصرون على الشقاق؟! أفلا يحذرون أن يأخذهم الله كما أخذ الذين من قبلهم «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ»؟! والسؤال للتكثير، يعني قروناً كثيرة، ظلمت وبغت، وطغت وأفسدت في الأرض، فأهلكها الله تبارك وتعالى، «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾» [الفجر: ٦- ١٤] لكل طاغية ولكل ظالم.

فقومك يا نبينا! إن لم يقلعوا عن ما هم فيه من العزة والشقاق، والاستكبار والعناد، فقد حقت عليهم كلمة العذاب.

«كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا» نداء الاستغاثة، أي استغاثوا وصرخوا، ومن يغيثهم؟! ومن يجيرهم من العذاب بعد أن نزل بهم؟! «وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ» قالوا: (لات) كلمة واحدة، بمعنى (ليس) بلغة اليمن، والنحويون على أنها (لا) زيدت فيها التاء، كما تزاد في رُبَّ، ثُمَّ يقال ربتْ، وثمت، كذلك قالوا لات، بمعنى (ليس)، وأضيفت إليها التاء زيادة في التأكيد، «فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ» أي ففروا هاربين، ينادون ويصرخون ويستغيثون، وليس الحين حين فرار واستغاثة، وإنما هو كما قال تعالى: « فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ

وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)» [غافر: ٨٤- ٨٥].

«فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ» [الأنبياء: ١٢- ١٥].

أفلا يعتبر كفار قريش بما أصاب أولئك السابقين، ويحذرون أن يصيبهم مثل ما أصاب قوم نوح، أو قوم هود، أو قوم صالح، ألا يحذرون! ألا يخافون!

«وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» وأيُّ عجب في ذلك، «وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا (٩٤) قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا (٩٥)» [الإسراء: ٩٤- ٩٥]، لكن الذين يمشون على الأرض بشر، فلزم أن يأتيهم رسول بشر من جنسهم، يعرفونه ويألفونه، فيتقربون منه، ويسمعون كلامه، وينتفعون به، كما قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤)» [إبراهيم: ٤]، «وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ» [الأنعام: ٨- ٩].

«وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ» فحكم عليهم بالكفر، لما عجبوا أن يأتيهم رسول منهم، وقالوا: أبعث الله بشراً رسولاً، فمن أنكر رسالة الرسول لكونه بشراً فهو كافر، «وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ» فدمغهم بالكفر قبل أن يحكي مقولتهم.

«وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ»؟! وقد كانوا ألفوا تعدد الآلهة، حتى كان لكل يوم إلهٌ يُعبد، ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة عام الفتح جعل يكسر الأصنام وكانت ثلاث مائة وستين صنمًا حول الكعبة، فجعل يكسرها، ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا).

«وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ» والملأ كلمة تطلق في القرآن على الأشراف والسادة والأكابر.

«وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ» لا تتزحزحوا عنها، لا يصدنكم محمد عنها، اثبتوا عليها، لا تتركوها ولا تتخلوا عنها، «وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ» يريد أن يتفضل عليكم، يريد أن ينفرد بالملك والسلطة والكلمة دونكم.

«مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ» يريدون ملة النصارى، فمن أين أتى محمد بالتوحيد؟! لقد خالفنا وخالف النصرانية، خالف دين قومه، وخالف أهل الكتاب من قبله، فمن أين أتى بهذا التوحيد؟! «مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ» إذا «إِنْ هَذَا» الذي يقوله محمد من التوحيد «إِلَّا اخْتِلَاقٌ» أي شيء اختلقه وافتراه كذباً وزوراً وبهتاناً.

## حسد الكافرين للرسول ﷺ

ثم صرحوا بالحقيقة التي منعتهم من اتباعه صلى الله عليه وسلم وهي الحسد، فقالوا: «أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا» هذا هو بيت القصيد؛ لأنهم يعرفون أنه ليس ساحرًا ولا كذابًا، فهو الوحيد من بين آبائهم وأجدادهم الذي لقبوه بالصادق الأمين، وهو الذي تحاكموا إليه عندما اختلفوا أين يضعون الحجر في البيت الحرام لما كانوا يجددون بناء الكعبة، قالوا: نرضى بحكم أول داخل، فكان أول داخل محمدًا صلى الله عليه وسلم فحكّموه، ورضوا بحكمه، فكيف يحكمون مجنونًا؟!

فالمانع الذي منعهم من اتباعه صلى الله عليه وسلم هو الحسد، «أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا» «وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ».

قال تعالى: «بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي» هم أصلاً ليسوا مؤمنين أن هذا الذكر من الله، فكيف يحسدونك على أن الله أنزل عليك الذكر.

والعلة المانعة الحقيقية «بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ» ولو أنهم ذاقوا عذابي ما قالوا هذا القول، كما قال تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ» [غافر: ٨٤] فالذي يحملهم على التكذيب والعناد والإصرار هو إمهال الله لهم، والله تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، فهم اغتروا بإمهال الله، وظنوا أن الإمهال إهمال، فربنا يقول: «بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ» ولو ذاقوا عذابي لاعترفوا بالذكر الذى أنزلته على رسولي، ولكنهم بعد لما يذوقوا عذابي.

ثم لماذا يقولون هذا: «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ».

الرحمة هنا المراد بها النبوة، والمعنى: هل خزائن الرحمة بأيديهم فهم يتصرفون فيها كيفما شاءوا؟ «أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥)» [النساء: ٥٢- ٥٥].

«أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ» هل أعطاهم الله مفاتيح الخزائن، وقال لهم تصرفوا في الملك، أعطوا من

شئتم، وامنعوا من شئتم، وأعزوا من شئتم، وأذلوا من شئتم، نبِّئوا من شئتم، ولا تنبئوا من شئتم؟! «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ» الغالب القاهر الذى لا يُغلب ولا يُقهر «الْوَهَّابِ» فهوَ الذي يهب لمن يشاء، ويمنع من يشاء، وهو الذي يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، وهو الذي يُعز من يشاء ويذل من يشاء، «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» [الأنعام: ١٢٤]، «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ» لا طبعاً «أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا» هل لهم ملك السماوات والأرض فهم يتصرفون كيفما يشاءون، إذا لو كانوا لهم التصرف فى الملك «فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ» فليصعدوا في الأسباب إلى السماء، ويمنعوا نزول الوحي عنك؛ لأن من شأن الحاسد أنه يسعى فى إزالة النعمة عن المحسود.

## من أعلام نبوة النبي ﷺ

ثم أخبر الله تعالى عن هزيمتهم وغلبتهم فقال: «جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ» جندٌ مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هم جند مهزوم، كما هُزمت الأحزاب من قبلهم، كذلك سيُهزم هذا الجند، كما قال تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ» [القمر: ٤٤- ٤٦].

وهذا علم من أعلام نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، أن الله أخبره بهزيمة قومه وهو فى مكة ولم يُشرعْ الجهاد بعدُ، حتى إن عمر قال: كنت لا أعرف ما معنى قوله: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ» أقول: من هو الجمع؟ ومتى يولون الدبر؟ حتى إذا كان يوم بدر دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم العريش فجعل يرفع يديه يستغيث بربه، فخرج وهو يقرأ الآية «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ» فعلمت المراد بها.

فالآية تأويلها لم يحصل إلا بعد الهجرة، ونزلت في مكة قبل الهجرة، أخبره الله أن قومه الذين يحاربونه سيهزمهم الله تبارك وتعالى فى المستقبل عما قريب، وهزمهم الله تبارك وتعالى «جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ».

## وجوب الاعتبار بوحدة مصير المكذبين

ومرة ثانية يؤكد الله تبارك وتعالى عليهم ضرورة الاعتبار بوحدة مصير المكذبين قبلهم فيقول: «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ».

للمفسرين في الأوتاد أقوال كثيرة، منها: الوتد كناية عن تثبيت الملك. ومنها الأوتاد: كان إذا أراد أن يعذب واحداً يدق له أربعة أوتاد، ويربط يديه ورجليه فيها ويعذبه.

ومنها أن المراد بالأوتاد الأهرامات؛ لأنها كالجبال، كالأوتاد وقد سمى الله تعالى الجبال أوتاداً، فالأوتاد المراد بها الأهرامات.

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) » [الفجر: ٦- ١٣]، « فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) » [العنكبوت: ٤٠]

أفلا يحذر قومك يا نبينا أن ينزل بهم ما نزل بهؤلاء الأحزاب؟! « وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ » [سبأ: ٤٥].

فإذا كان ربنا أهلك الأمم السابقة، وكانوا أشد قوة وآثارًا في الأرض، فيجب على المعاصرين أن يعلموا أن قوتهم ضعيفة جداً جداً، وأنها لن تقوم لأمر الله إذا جاءهم.

«أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِنْ كُلٌّ» من هؤلاء الأحزاب المذكورين «إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ» «كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ»، «كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ»، «كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ» إلى آخر ما ذكر ربنا في سورة الشعراء.

«إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ» فحق عليهم ولزمهم عقابُ الله تبارك وتعالى، وأنتم يا قريش كذبتم رسول الله، فحق عقاب الله عليكم عاجلاً أو آجلاً، فمن نجى منكم من عذاب الدنيا، فلن ينجو من عذاب الآخرة «وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ» يعني ما لها من تثنية يعني صيحة واحدة لن تثني، كما قال تعالى: «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)» [القمر: ٥٠]، وقالوا: الفواق الزمان الذي يكون بين الحلبتين والرضعتين، تحلب البقرة ثم تتركها حتى تجمع اللبن مرة ثانية، أو الولد يرضع من ثدي أمه، ثم فيتركه حتى يجمع اللبن ويرجع له، فما بين الحلبتين أو الرضعتين هو الفواق. قال تعالى: « إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) » [يس: ٢٩]، ثم قال: « إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) » [يس: ٥٣]، صيحة واحدة تميتهم، وصيحة واحدة تبعثهم، «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) » [الزمر: ٦٨].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

# وقفات شرعية مع تطبيق

**الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد ..**

**فقد تحدثنا في العدد السابق عن أهمية الشريعة الإسلامية ووجوب تطبيقها وكنا قد وقفنا عند ذكر بعض شبهات المعاندين للشريعة ونكمل فنقول وبالله تعالى التوفيق:**

## الرد على شبهة الحرز:

يتضح مما سبق الجهل الشديد والمركب الذي وقع فيه ملقي الشبهة، وذلك للآتي:

أولاً: أن الشريعة الإسلامية قد بسطت سيطرتها على جميع الجرائم، ما كان موجودًا منها عند أسلافنا، وما استجد في عصرنا، فإن كان مذهب الجمهور قد اشترط الحرز، فمن سرق ملايين الجنيهات عن طريق الكمبيوتر أو بطاقات الائتمان تُقطع يده لسرقته من الحرز، وليس كما قال ذلك الدعي الذي لا يفقه في دين الله شيئًا، ويهرف بما لا يعرف، فليته سكت حتى لا يظهر جهله عند الناس!! وإن كان قول الظاهرية، فتقطع يده أيضا لعدم اشتراط الحرز.

ثانيًا: إذا اختل شرط الحرز فلا قطع للأحاديث السابقة، ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما روته عنه عائشة رضي الله عنها أنه قال: «ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة». [رواه الترمذي مرفوعًا وموقوفًا وضعفه الألباني].

قال العلامة ابن باز رحمه الله تعالى: «الحمد لله، لقد جاء في هذا الباب عدة أحاديث في أسانيدها مقال، لكن يشد بعضها بعضًا، منها الحديث الذي ذكر السائل: ادرؤوا الحدود بالشبهات». وفي الآخر: «ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم».

والمعنى أن الواجب على ولاة الأمور من العلماء والأمراء أن يدرؤوا الحدود بالشبهة التي توجب الشك في ثبوت الحد، فإذا لم يثبت الحد عند الحاكم ثبوتًا واضحًا لا شبهة فيه، فإنه لا يقيمه، ويكتفي بردعه عن الجريمة من أنواع التعزير ، ولا يقام الحد الواجب. اهـ.

ونسأل هذا الدعي وأمثاله سؤالاً: هل تريد تطبيق الحد على شخص لم يتوافر في حقه شروطه؟! فأنت بذلك ممن يريد تقطيع الأيدي بحق وبغيره!! أم تريد أن تحصر تطبيق الحد في أضيق نطاق، ولا يطبق إلا على من توافرت شروطه في حقه؟!

ثالثًا: ليس معنى إسقاط الحد عمن لم تتوافر شروطه في حقه تركه دون عقاب، وإنما يُعزر بما يردعه وأمثاله عن عدم العودة إلى فعلته؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «وما لم يبلغ ثمن المجن ففيه غرامة مثليه وجلدات نكال». وهو ما بينه ابن القيم بقوله: «ولكن يسوغ كف عدوان هؤلاء بالضرب والنكال، والسجن الطويل والعقوبة بأخذ المال». اهـ.

رابعًا: قد يسقط القطع في السرقة لعدم توافر شروطها، ولكن يطبق حد آخر، فالمنتهب والمختلس والغاصب لا تقطع أيديهم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع». [رواه الخمسة وصححه الألباني]، ولكن قد يقام على المنتهب حد الحرابة إذا قطع طريق الناس، وقام بسرقتهم.

خامسًا: بعد أن بينا أن الشريعة فرّقت بين السارق والمختلس والغاصب والمنتهب، قد يلقي شخص بشبهة أخرى فيقول: شخص اختلس ملايين الجنيهات، يعاقب بالحبس وآخر سرق آلاف الجنيهات

# الشريعة الإسلامية

الحلقة الثالثة

إعداد/ المستشار أحمد السيد علي

تقطع يده، هل هذا من العدل؟! ويرد عليه بالآتي:

١- نعم من العدل؛ لأن الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قد فرّقا بينهما، فالواجب الامتثال لشرعه سبحانه وتعالى لقوله: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (٣٦)» [الأحزاب:٣٦].

٢- لأنه اعتراض في غير محله، فلو كانت العلة ضخامة المبلغ أو ضالته، لكان الاعتراض صحيحًا، ولكن العلة في إقامة الحد على من سرق مبلغًا بلغ النصاب «ربع دينار»، وترك إقامة الحد على من اختلس مبلغًا ولو زاد على النصاب أضعافًا مضاعفة، هي أن السرقة أشد من الاختلاس، ولذلك شرع الله لها حدًا مقدرًا بقطع يد السارق، وترك أمر المختلس للتعزير من قبل الحاكم، والشريعة الإسلامية بيّنت أن عظم العقوبة على قدر عظم الجرم حتى ولو كان الجرم ضئيلاً في نظر الناس، وقد نبّه الله سبحانه إلى تلك الحقيقة بقوله تعالى: «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)» [النور:١٥]

وكذلك نبه النبي صلى الله عليه وسلم إليها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل». [قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره].

وفي رواية عن عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم، أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية». [أورده السيوطي في الجامع الصغير وصححه الألباني].

**السرقة أشد من الاختلاس، ولذلك شرع الله لها حدًا مقدرًا بقطع يد السارق، وترك أمر المختلس للتعزير من قبل الحاكم، والشريعة الإسلامية بيّنت أن عظم العقوبة على قدر عظم الجرم حتى ولو كان الجرم ضئيلاً في نظر الناس**

فبين صلى الله عليه وسلم أن جرم الربا وإن كان يسيرًا تافهًا في نظر الناس: «درهم واحد» أعظم عند الله من جرم الزنا وإن كان كثيرًا فاحشًا في عرفهم، وكذلك الحال قد يكون الفعل صغيرًا في حق بعض الأشخاص، عظيمًا في حق آخرين، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)» [الحجرات:٢]

فبين سبحانه أن رفع الصوت والجهر بالقول بين الصحابة أمر يسير، بينما نفس الفعل عظيم في حقه صلى الله عليه وسلم مُحبط للعمل، ثم هذا الفعل هو رفع الصوت عند النبي صلى الله عليه وسلم جرم عظيم أعظم من ضرب مسلم لآخر، مع أنه لو اجتمع رفع الصوت والضرب في حق شخص واحد معتدًى عليه بهما، لكان الضرب أعظم من رفع الصوت عليه.

وهذه القاعدة: ليست في مجال العقاب فقط، بل تمتد لتشمل الثواب أيضًا، فالثواب قد يكون عظيمًا على فعل عظيم عند الله وهو يسير في نظر الناس، فعن أبي سعيد الخدري

رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». [أخرجه البخاري].

وفي رواية أوردها ابن العربي في أحكام القرآن: «لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»، فلو أنفق مسلم ملايين الأطنان من الذهب «كجبل أحد» كل يوم في سبيل الله ما بلغ في الثواب، ثواب واحد من الصحابة في الإنفاق، وما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (أي ما بلغ ثوابه في إنفاقه شيئًا في سبيل الله يعادل ملء كفيه أي يديه، ولا كف واحد من أي شيء كالفول مثلاً)، وهذه امرأة يعني من بغايا بني إسرائيل يشكرها الله ويغفر لها ذنوبها، ويدخلها الجنة على فعل عظيم، وإن كان حقيرًا في نظر الناس، وهو سقي كلب.

فالعبرة إذن بعظم الفعل لا بضخامته ولا كثرته، وهذا ما سارت على نهجه القوانين الوضعية في بعض الجرائم، فقد نصت المادة (٣١٦) مكرر (١) من قانون العقوبات المصري رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ على أن «يعاقب بالسجن المشدد على السرقات التي تقع على أسلحة الجيش أو ذخيرته، وتكون العقوبة السجن المؤبد إذا ارتكبت الجريمة بطريق الإكراه أو التهديد باستعمال السلاح، أو إذا توافر فيها ظرف من الظروف المشددة المنصوص عليها في المادة ٣١٧».

ونصت المادة ٣١٨ من ذات القانون على أن «يعاقب بالحبس مع الشغل مدة لا تتجاوز سنتين على السرقات التي لم يتوافر فيها شيء من الظروف المشددة السابق ذكرها».

فمثلاً لو غافل شخص آخر في أحد البنوك فسرق حقيبته وبها مبلغ مليون جنيه، فعقوبته الحبس مع الشغل مدة لا تتجاوز سنتين، ولو سرق شخص آخر طلقة ذخيرة خاصة بالجيش المصري لا يتعدى ثمنها بضعة جنيهات، فعقوبته السجن المشدد من ثلاث إلى خمس عشرة سنة، قد تصل إلى السجن مدى الحياة إذا كانت السرقة عن طريق الإكراه أو التهديد، فواضعو القانون لم ينظروا إلى ضخامة المبلغ المسروق في الحالة الأولى وضآلة

> **الواقع يبين أن القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله لم تردع السارقين عن السرقة، بل زاد عدد السارقين، بالمقارنة بالدول التي تطبق شرع الله سبحانه وتعالى، فالواجب العودة إلى شرع الله، وتطبيق حدوده ليحى الناس فى أمن وأمان**

المسروق في الثانية، وإنما نظروا إلى عظم الجرم الواقع على الجيش المصري، وأنهم لو تهاونوا في ذلك لانتشرت حوادث سرقة أسلحة الجيش وذخيرته، ومع أن العقوبة في الحالتين تخالف شرع الله عز وجل، إلا أننا لم نسمع للعلمانيين ضجيجًا ولا نقدًا ولا تصفيقًا من المخدوعين، وما ذاك إلا لأنه من وضع البشر وهم يعملون جاهدين لتنحية شريعة الله عن التطبيق، وصدق الله العظيم حيث يقول: « وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥) » [الزمر: ٤٥].

٣- أن المختلس قد يعزر بالحبس مدة طويلة مع رد المال الذي اختلسه، بينما السارق الذي قطعت يده يكون حرًا طليقًا يمارس حياته اليومية ويختلط مع المسلمين، ويفعل ما يُحرم منه المختلس في سجنه.

سادسًا: أن الواقع يبين أن القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله لم تردع السارقين عن السرقة، بل زاد عدد السارقين، بالمقارنة بالدول التي تطبّق شرع الله سبحانه وتعالى، فالواجب العودة إلى شرع الله، وتطبيق حدوده؛ ليحيا الناس في أمن وأمان.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

# الحج عرفة

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله رب العالمين، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعدُ:

عن عُرْوة بن مُضَرِّس بن أوس بن لام - رضي الله عنه - أنه حج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يدرك الناس إلا ليلاً وهو بجمع، فانطلق إلى عرفات، فأفاض منها، ثم رجع فأتى جمعًا، فقال: يا رسول الله، أتعبت نفسي وأنصبت راحلتي، فهل لي من حج؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «من صلى معنا صلاة الغداة بجمع، ووقف معنا حتى نفيض، وقد أفاض قبل ذلك من عرفات ليلاً أو نهارًا، فقد تم حَجُّهُ وقضى تَفَثَهُ».

هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند [(١٥/٤) - برقم ١٦٢٠٨، ١٦٢٠٩، ط دار الرسالة].

وأخرجه الإمام أبو داود برقم (١٩٥٠)، باب (من لم يدرك عرفة) من كتاب المناسك، كما أخرجه الإمام الترمذي برقم (٨٩١) في كتاب الحج، باب (ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج)، وأخرجه أيضا الإمام ابن ماجه في سننه برقم (٣٠١٦) كتاب المناسك، باب (من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع).

وقد عزاه محقق المسند إلى ابن خزيمة، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، وشرح معاني الآثار، وابن حبان والبيهقي في السنن، والحميدي، والدارمي، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، والطبراني في الكبير، والأوسط، والدارقطني، والحاكم، وابن الجارود في المنتقى، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم ٣٠٤٣.

### اختلاف ألفاظ روايات هذا الحديث

جاء في بعض روايات هذا الحديث: أن عروة بن مضرس قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بجمع، فقلت: يا رسول الله، جئتك من جبلي طيء، أتعبت نفسي وأنضيت راحلتي، والله ما تركت من حَبْلٍ إلا وقفت عليه، فهل لي من حج؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «من شهد معنا هذه الصلاة - يعني صلاة الفجر - بجمع، ووقف معنا حتى نفيض منه، وقد أفاض قبل ذلك من عرفات ليلاً أو نهارًا فقد تم حجه، وقضى تفثه».

### ترجمة الصحابي راوي الحديث

هو عُرْوَةُ بْنُ مُضَرِّس بن أَوْس بن حارثة بْن لام بن عمرو بن طريف بن عمرو، ينتهي نسبه إلى طيء. قال صاحب «أسد الغابة»: كان سيدًا في قومه، وكان يناوئ عدي بن حاتم في الرياسة، وكان أبوه عظيم الرياسة أيضا، وعروة هو الذي بعث معه خالد بن الوليد رضي الله عنه عيينة بن حصن الفزاري، لما أسره في الردة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وليس لعروة بن مضرس إلا هذا الحديث، فلم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم غيره.

### شرح الحديث

يبين هذا الحديث أن عروة بن مضرس جاء من طيء من جبليها، وهما جبل سلمى وجبل أجا، وهو مكان بعيد بالنسبة إلى مكة والمشاعر، وقد أتعب نفسه في السفر على راحلته، فلم يمر على جبل من الجبال - أو حَبْل من الحبال - إلا وقف عليه، والفرق بين الجبَل والحبْل أن الجبل يكون مرتفعًا من الصخور، وأما الحبل فيكون مستطيلاً من الرمل، فإذا كان من رمل قيل له: حَبْل، وإذا كان من صخر قيل له: جَبَل.

وفعله هذا يُظهر أنه لم يحج قبل ذلك، ولا يعرف الأماكن التي تؤدى فيها المناسك، ولا التي يوقف فيها في الحج؛ فلعله خشي أن يفوته شيء من المناسك، فكان احتياطه ألا يترك جبلاً إلا وقف عليه؛ وبذلك أجهد نفسه وأتعب مطيته، فأصابها الهزال المفهوم من قوله: «أنضيت راحلتي».

جاء في المعجم الوسيط: «أَنْضى» فلان: كانت دوابه هزيلة، وأنضى الدابة: هزلها وأتعبها، والنِّضْوُ: المهزول من الحيوان.

وحينئذ يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهل لي من حج؟ فيجيبه النبي صلى الله عليه وسلم: «من شهد معنا هذه الصلاة - يعني صلاة الفجر - بجمع - أي بمزدلفة - ووقف معنا حتى نفيض منه، وقد أفاض قبل ذلك من عرفات ليلا أو نهارًا، فقد تم حجُّهُ، وقضى تَفَثَهُ».

### الوقوف بعرفة ركن الحج الأعظم

معلوم أن أركان الحج التي لا يتم إلا بها أربعة، وهي:

#### الأول: الإحرام من الميقات:

أي نية الدخول في النسك - نية الحج -؛ وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المشهور: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»، فجميع العبادات لا بد فيها من عقد النية للدخول فيها؛ حتى تُقبَل عند الله تبارك وتعالى.

وقد شرع التلفظ بالنية في الحج والعمرة، وأما في غيرهما من العبادات فلم يُشرع التلفظ بالنية؛ وذلك لما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لبَّى بالحج، وأسمع الناس، ولم يَرِد عنه ذلك في صلاة، ولا زكاة، ولا صيام، ولا غير ذلك.

#### الركن الثاني: الوقوف بعرفة:

وقد أجمع أهل العلم على أن الوقوف بعرفات هو الركن الذي إذا فات: فات الحج، أي من لم يدرك الوقوف بعرفة يوم عرفة - وهو اليوم التاسع من ذي الحجة من بعد الزوال، ويستمر الوقت إلى طلوع الفجر من اليوم العاشر- فقد فاته الحج؛ وذلك لهذا الحديث الذي معنا، ولحديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي رضي الله عنه قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة، فجاء ناس أو نفر من أهل نجد، فأمروا رجلاً فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف الحج؟ فأمر رجلاً فنادى: الحج الحج يوم عرفة، من جاء قبل صلاة الصبح من ليلة جمع فتم حَجُّهُ، أيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه، قال: ثم أردف رجلاً خلفه فجعل ينادي بذلك». أخرجه أصحاب السنن الأربعة وغيرهم وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١٩٤٩.

فأما الوقت الذي يُدرك به الوقوف بعرفة، فالجمهور على أنه من بعد زوال شمس يوم عرفة إلى طلوع الفجر من ليلة مزدلفة، فأي حاج وقف في أي وقت من هذا الوقت، فحجه صحيح، وإن كان يجب على من وقف نهارًا أن يضم إلى وقوفه جزءًا من الليل؛ وذلك لفعل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله: «لتأخذوا عني مناسككم» [النسائي وصححه الألباني].

فمن لم يجمع إلى النهار جزءًا من الليل، فعليه دم عند الجمهور، ومن لم يقف إلا ليلاً فلا شيء عليه، ودليل ذلك حديث عروة بن مضرس رضي الله عنه، وحديث عبد الرحمن بن يعمرَ الديلي المذكور آنفا، فإن فيهما تصريح النبي صلى الله عليه وسلم بأن من أدرك عرفة قبل طلوع الفجر ليلة جمع فقد تم حجه، وجَمع هي مزدلفة، وليلتها هي الليلة التي صبيحتها يوم النحر، وذلك خلافا للمالكية الذين ألزموه دمًا، ودليلهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف بالليل، بل وقف معه جزءًا من النهار، فتارك الوقوف بالنهار تارك

لنسك، وفي الأثر المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «من ترك نسكًا فعليه دم».

ولكن قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الديلي وعروة بن مضرس: «فقد تم حجه» لا يساعد على لزوم الدم؛ لأن لفظ التمام يدل على عدم الحاجة إلى الجبر بدم، وهو يؤيد مذهب الجمهور.

قال الشيخ الأمين الشنقيطي في أضواء البيان: والحاصل أن الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج إجماعًا، وأن من جمع بين الليل والنهار من بعد الزوال فوقوفه تام إجماعًا، وأن من اقتصر على الليل دون النهار، فوقوفه تام ولا دم عليه عند الجمهور، خلافًا للمالكية القائلين بلزوم الدم، وأن من اقتصر على النهار دون الليل لم يصح وقوفه عند المالكية، وعند جمهور العلماء حجه صحيح، منهم الشافعي وأبو حنيفة، وعطاء، والثوري، وأبو ثور، وهو الصحيح من مذهب أحمد.

قال: ولكنهم اختلفوا في وجوب الدم؛ فقال أحمد وأبو حنيفة: يلزمه دم، وعن الشافعية قولان: أحدهما: لا دم عليه، وصححه النووي وغيره، والثاني: عليه دم؛ قيل وجوبًا، وقيل استنانًا، وقيل: ندبًا، والأصح عندهم أنه سنة على القول به كما جزم به النووي، وإنما قيل: الزوال من يوم عرفة ليس وقتًا للوقوف عند جماهير العلماء خلافًا للإمام أحمد، رحمه الله تعالى.

وقد استدل الإمام أحمد بظاهر حديث عروة بن مضرس، وفيه: «وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً أو نهارًا فقد تم حجه، وقضى تفثه». فقوله: ليلاً أو نهارًا عامّ لكل وقت النهار من طلوع فجر يوم عرفة إلى غروب الشمس، فلذلك قال: يبدأ وقت الوقوف من طلوع فجر يوم عرفة، وينتهي بطلوع فجر يوم النحر.

قال الشيخ الأمين - رحمه الله تعالى -: أما من اقتصر في وقوفه على الليل دون النهار، أو النهار من بعد الزوال دون الليل، فأظهر الأقوال فيه دليلاً: عدم لزوم الدم. أما المقتصر على الليل فلحديث عبد الرحمن الديلي رضي الله عنه، المتقدم آنفًا، فقوله صلى الله عليه وسلم كما في رواية أحمد: «من جاء عرفة قبل صلاة الفجر من ليلة جمع فقد تم جمعه»، نصٌ صريح في أن المقتصر على الوقوف ليلاً، أن حجه تام، وظاهر التعبير بلفظ التمام عدم لزوم الدم، ولم يثبت ما يعارضه من صريح الكتاب أو السنة، وعلى هذا جمهور أهل العلم - خلافًا للمالكية -.

وأما المقتصر على النهار دون الليل فلحديث عروة بن مضرس، وقد قدمناه قريبًا، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً أو نهارًا فقد تم حجه وقضى تفثه». فقوله صلى الله عليه وسلم: «فقد تم حجه» مرتبًا له بالفاء على وقوفه بعرفة ليلاً أو نهارًا، يدل على أن الواقف نهارًا يتم حجه بذلك، والتعبير بلفظ التمام ظاهر في عدم لزوم الجبر بالدم؛ كما بيناه فيما قبله، ولم يثبت نقل صريح في معارضة ظاهر هذا الحديث، وعدم لزوم الدم للمقتصر على النهار هو الصحيح من مذهب الشافعي؛ لدلالة هذا الحديث على ذلك كما ترى، والعلم عند الله تعالى.

وأما الاكتفاء بالوقوف يوم عرفة قبل الزوال، فقد قدمنا أن ظاهر حديث ابن مضرس المذكور يدل عليه؛ لأن قوله صلى الله عليه وسلم: «أو نهارًا» صادق بأول النهار وآخره؛ كما ذهب إليه الإمام أحمد، ولكن فعل النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده كالتفسير للمراد بالنهار في الحديث المذكور، وأنه بعد الزوال، وكلاهما له وجهٌ من النظر، ولا شك أن عدم الاقتصار على أول النهار أحوط، والعلم عند الله.

وحجة مالك في أن الوقوف نهارًا لا يجزئ إلا إذا وقف معه جزءًا من الليل هي أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل كذلك، وقال: «لتأخذوا عني مناسككم». فيلزمنا أن نأخذ عنه من مناسكنا الجمع في الوقوف بين الليل والنهار، ولا يخفى أن هذا لا ينبغي أن يعارض به الحديث الصريح في محل النزاع الذي فيه: «وكان قد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً أو نهارًا فقد تم حجه». كما ترى.

قال الشيخ الأمين - رحمه الله -: واعلم أن من وقف بعرفة بعد الزوال، ثم أفاض منها قبل الغروب، ثم رجع إلى عرفة في ليلة جمع أن وقوفه تام، ولا دم عليه في أظهر القولين؛ لأنه جمع في وقوفه بين الليل والنهار، خلافًا لأبي حنيفة وأبي ثور القائلين بأن الدم لزمه بإفاضته قبل الليل، وأن رجوعه بعد ذلك ليلاً لا يُسقط عنه ذلك بعد لزومه، والله تعالى أعلم.

## فروع تتعلق بالوقوف بعرفة

الأول: لا خلاف بين أهل العلم في صحة الوقوف بغير طهارة، فيصح وقوف الجنب والحائض؛ وذلك لحديث عائشة المتفق عليه، والذي قال لها فيه النبي صلى الله عليه وسلم:

«افعلي كل شيء يفعله الحاج، غير أن لا تطوفي بالبيت».

الثاني: اختلف العلماء في صحة وقوف المغمى عليه بعرفة، قال النووي في المجموع: ذكرنا أن الأصح عندنا أنه لا يصح وقوف المغمى عليه، وحكاه ابن المنذر عن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور.

قال النووي: وبه أقول - وقال مالك وأبو حنيفة: يصح، قال الشيخ الأمين: ليس في وقوف المغمى عليه نص من كتاب ولا سنة يدل على صحته أو عدمها، فأظهر القولين عندي قول من قال بصحته؛ لعدم اشتراط النية التي تخص الوقوف.

الثالث: لقد اختلف العلماء في من وقف بعرفات وهو لا يدري أنها عرفات، قال النووي في شرح المهذب: قد ذكرنا أن مذهبنا صحة وقوفه، وبه قال مالك وأبو حنيفة. وحكى ابن المنذر عن بعض العلماء أنه لا يجزئه.

الرابع: لا خلاف بين العلماء في مشروعية جمع الظهر والعصر جمع تقديم يوم عرفة، والمغرب والعشاء جمع تأخير بمزدلفة، وقد ثبت ذلك في صحيح مسلم وغيره من حديث جابر رضي الله عنه. والأظهر أنه يؤذن للظهر فقط، ويقيم لكل واحدة منهما، وأظهر القولين أن جميع الحجاج يجمعون الظهر والعصر، ويقصرون، وكذلك في جمع التأخير في مزدلفة يقصرون العشاء، وأن أهل مكة وغيرهم في ذلك سواء، وأن حديث: «أتموا فإنا قوم سَفر». إنما قاله لهم النبي صلى الله عليه وسلم في مكة لا في عرفة ولا في مزدلفة.

وروى مالك بإسناده الصحيح في الموطأ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لما قدم مكة صلى بهم ركعتين، ثم انصرف، وقال: يا أهل مكة! أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر، ثم صلى ركعتين بمنى، ولم يبلغني أنه قال لهم شيئًا.

الخامس: الصعود على جبل الرحمة الذي يفعله الكثير من العوام لا أصل له، ولا فضيلة فيه؛ لأنه لم يرد في خصوصه شيء، بل هو كسائر أرض عرفة، وعرفة كلها موقف، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، وكل أرضها سواء. قال الشيخ الأمين - رحمه الله -: وبذلك تعلم أن ما قاله ابن جرير الطبري والماوردي من استحباب صعود الجبل لا يعول عليه. والله أعلم.

قال: والتحقيق أن عُرَنَةَ ليست من عرفة، فمن وقف بعرنة لم يجزئه ذلك، وما يُذكر عن مالك من أن وقوفه بعرنة يجزئ وعليه دم، خلاف التحقيق الذي لا شك فيه، والظاهر أنه لم يصح عن مالك.

## الركن الثالث: طواف الإفاضة:

ويسمى طواف الزيارة، وطواف الركن، ويبدأ وقته من بعد الإفاضة من مزدلفة، ودليل ركنيته قوله تعالى: «وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» [الحج:٢٩]، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لما حاضت أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها في حجها مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أحابستنا هي؟» قالوا: إنها قد أفاضت. قال: «فلا إذن». [متفق عليه].

فدل الحديث على أن طواف الإفاضة فرض لا بد منه، ولولا فرضيته لم يمنع من لم يأت به من السفر. وعليه الإجماع كما نقله صاحب «المغني».

## الركن الرابع: السعي بين الصفا والمروة.

ذهب الأئمة الثلاثة - مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى - إلى أن السعي ركن من أركان الحج، لا يصح الحج إلا به، حتى لو ترك خطوة منه يؤمر بأن يعود إلى ذلك الموضع فيضع قدمه عليه، ويخطو تلك الخطوة، وذهب الحنفية إلى أن السعي واجب في الحج وليس بركن. والله أعلم.

نسأل الله أن يتقبل من الحجاج حجهم، وأن يتقبل منا ومن المسلمين جميع الأعمال، ويجعلها صالحة وخالصة لوجهه سبحانه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

## تهنئة

تتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص التهنئة إلى الدكتور أسعد محمد أحمد الدق ، وذلك لحصوله على شهادة الدكتوراه مع مرتبة الشرف من كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، متمنين له دوام التفوق والنجاح

درر البحار (٨٨)

# من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٢٧١٧- عَنْ أَبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ، وجُبنٌ خَالِعٌ».

[د: ٢٥١١، وهذا حديث حسن صحيح].

والهلع: أشد الجزع والضجر. و«خالع»: شديد كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه.

٢٧١٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الصدقةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: جُهْدُ الْمُقِلِّ، وابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ».

[د: ١٦٧٧، وهذا حديث حسن صحيح]. والمقل: هو الفقير، أو قليل المال.

٢٧١٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قال النبي ﷺ: «لاَ تُكْثِرُوا الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ».

[جه: ٤١٩٣، والبخاري في «الأدب المفرد» (ح٢٥٣)، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٧٢٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى تَزْلَعَ - يَعْنِي تَشَقَّقُ - قَدَمَاهُ».

[ن: ٢١٩/٣، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٧٢١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إِذَا وُضِعَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ عَلَى سَرِيرِه، قَالَ: قَدِّمُونِي، قدمُونِي، وَإِذَا وُضِعَ الرَّجُلُ يَعْنِي السوءَ عَلَى سَرِيرِه، قَالَ: يَا وَيْلِي، أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِي».

[ن: ٤١/٤، وهذا حديث حسن صحيح].

قلت: هناك حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري (ح١٣١٤، ١٣١٦، ١٣٨٠) سبق أن أوردناه في هذه السلسلة برقم (٨٦٨) حتى لا يتقول علينا من لا دراية له بمعرفة طرق الأحاديث ومراتبها من الصحة التي هي الأساس لهذه السلسلة.

٢٧٢٢- عن أبي هُرِيرةَ رضي اللهُ عنه عن النبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِذَا أَصْبَحَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحنا، وبكَ أَمْسينَا، وَبكَ نَحْيَا وَبك نَمُوتُ، وإِلَيْكَ النُّشورُ». وإذا أَمْسَى قالَ: «اللهم بِكَ أَمْسَيْنَا وَبك نَحْيَا وَبَكَ نَموتُ، وإِليكَ النُّشورُ».

[د: ٥٠٦٨، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٧٢٣- عَنْ أَبِي هُرَيرة رضي اللَّهُ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِئ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا».

[د: ٥١٧٠، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٧٢٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَوْلِيَائِي يَوْمَ القِيَامَةِ الْمُتَّقُونَ، وإِنْ كَانَ نَسَبٌ أَقْرَبَ مِنْ نَسَبٍ، فَلاَ يَأتيني النَّاسُ بِالأَعْمَالِ وَتَأْتُونَ بالدُّنْيا تَحْمِلُونَهَا عَلَى رِقَابِكُمْ، فَتَقُولُونَ: يَا مُحمَّد، فَأقولُ: هَكَذَا وَهَكَذَا: لاَ». وَأَعْرَض في كلا عِطْفَيْهِ.

[خ في «الأدب المفرد» (ح٨٩٧)، والسنة لابن أبي عاصم (ح١٠١٢)، وهذا حديث حسن].

٢٧٢٥- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اسْتَكْبَرَ مَنْ أَكَلَ مَعَهُ خَادِمُهُ، وَرَكِبَ الحِمَارَ بِالأَسْوَاقِ، وَاعْتَقَلَ الشَّاةَ فَحَلَبَهَا».

[خ «الأدب المفرد» (ح٥٥٠)، وهذا حديث حسن].

٢٧٢٦- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبي ﷺ نَهَى عَنْ المَجَالس بالصُّعُدات، قالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه! ليشُق عَلَيْنا الجلوسُ في بيوتنا؟ قال: «فإن جلستم فأعْطوا المجَالسَ حقها». قالوا: ومَا حَقُّهَا يَا رَسُولَ اللَّه؟ قال: «إِدْلَالُ السَّائِلِ، وَرَدُّ السَّلام، وغَضُ الأبصار، والأمْرُ بالمعْروف، والنَّهْيُ عَنِ المنكر».

[خ في «الأدب المفرد» (ح١١٤٩)، وهذا حديث حسن صحيح].

وهذا الحديث غير حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «إياكم والجلوس في الطرقات»، وقد أوردناه في هذه السلسلة في المتفق عليه.

٢٧٢٧- عَنْ أَبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الفِطْرَ؛ لأَنَّ اليَهُودَ والنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ».

[د: ٢٣٥٣، وهذا حديث حسن].

٢٧٢٨- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَزَالُ البَلاءُ بالمؤْمِن والمؤْمِنةِ في نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ ومَا عَلَيْه خَطِيئَة».

[ت٢٣٩٩، وقال: هذا حديث حسن صحيح].

٢٧٢٩- عَنْ أَبي هُرَيْرَة وعن أَبي سَعِيدٍ رضي الله عنهما قالا: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «يُؤْتَى بِالعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا، وَسَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ وَالحَرْثَ، وَتَرَكتك تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ، فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّك مُلاقِي يَوْمَكَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: لا، فَيَقُولُ لَهُ: اليَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَني».

[ت: ٢٤٢٨، وقال الترمذي: هذا حديث صحيحٌ غريبٌ].

ومعنى قوله: اليوم أنساك: يقول: اليوم أتْرُكُكَ في العذاب. هكذا فسروه.

قُلْتُ: لأن الله نفى عن نفسه النسيان، قال تعالى: « لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ » [طه: ٥٢]. و(ترأس): يقال: رأس القوم يرأسهم رئاسة.

٢٧٣٠- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّ رَسُولَ ﷺ وَقَفَ عَلَى نَاسٍ جُلُوسٍ، فَقَالَ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟ قَالَ: فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه! أخبرنا بِخَيْرِنا من شَرِّنَا، قَالَ: خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَيُؤْمَن شَرُّهُ، وشَرُّكُمْ مَنْ لا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلا يُؤْمَنُ شَرُّهُ».

[ت: ٢٢٦٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح].

٢٧٣١- عَنْ أَبي هُرَيرة رضيَ اللَّهُ عنه قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فَسَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «وَجَبَتْ». قُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «الجَنَّةُ». [ت: ٢٨٩٧، وقال: هذا حديث حسن غريب].

٢٧٣٢- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الحَيَاءُ مِنَ الإيمانِ، والإيمَانُ في الجَنَّة، والبَذَاءُ مِنَ الجَفَاءِ، والجَفَاءُ في النار».

[ت: ٢٠٠٩، وقال: هذا حديث صحيح]. «البذاء»: هو الفحش في الكلام.

٢٧٣٣- عَنْ أَبي هُرَيْرَة رضيَ اللَّهُ عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَمْسٌ قَتْلُهُنَّ حَلالٌ في الحَرَمِ: الحَيَّةُ، والعَقْرَبُ، والحِدَأَةُ، والفَأْرَةُ، والكَلْبُ العَقُورُ».

[د: ١٨٤٨، وهذا حديث حسن صحيح].

دراسات قرآنية

# العظمة في القرآن الكريم

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فالاشتغال بالقرآن، وخدمته، والتعريف به ونشره، وتحبيبه إلى النفوس، وتشويق الأفئدة إليه، والتبصير به، ولفت الأنظار إليه، والإبانة عن حقائقه وفضله وفضائله وعظمته ومنزلته عند السلف، وأهمية تعلمه وتعليمه، وكيفية قراءته والأحكام التي تدور حوله، وإقامة الحجة به على الآخرين، من أفضل ما يُشتغل به، وتُنفق فيه الأوقات وتُبذل فيه الأموال، ويُضَحَّى فيه بالمُهَج وبكل ما هو أغلى وأنفس.

ومن خلال هذه المعاني سالفة الذكر سيدور حديثنا من خلال سلسلة نتكلم فيها عن عظمة القرآن وفضله، وفضائله، ومنزلته عند السلف، وكل ما هو متعلق بهذا الكتاب الكريم، وسأبدأ الكلام حول عظمة القرآن الكريم، أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

إن الكتاب الذي لا ريب فيه، ولا نقص يعتريه هو القرآن العظيم، روح الأمة الإسلامية، به حياتها وعزها ورفعتها، قال الله تعالى مخاطبًا رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم: «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾» [الشورى:٥٢].

فالقرآن العظيم روحُ يبعث الحياة، ويحركها، وينمّيها في القلوب، وفي الواقع العملي المشهود، والأمة بغير القرآن أمة هامدة لا حياة لها ولا وزن ولا مقدار، والقرآن العظيم هو كتاب الهداية، ولغة الحياة، وقصة الكون الصادقة من بدايته إلى نهايته، بل تجديدٌ لميلاد الإنسان على اختلاف الحقب وتوالي الأجيال، ومرور الدهور والعصور، نزل لمخاطبة النفس البشرية، والآخذ بيدها فهو معها آمرًا وناهيًا مرشدًا، وواعظًا مبشرًا ومنذرًا، مصبرًا ومسليًا، معلمًا وموجهًا، سميرًا وجليسًا، صديقًا وأنيسًا، فهو الحياة في سُمُوِّها والكمال في أسمى معانيه، فقد بلغ الغاية التي لا تدانيها غاية، في الرفعة والعلو والخلود والسُّمو، فما أبدع تراكيبه! وأروع أساليبه! وأسمى معانيه!

والقرآن العظيم هو المعجزة الباقية الخالدة التي نصبها ربُّ العزة تبارك وتعالى شاهدًا حيًا ناطقًا بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، ولقد تحدى الله به العالم كله، إنسًا وجنًا، فما ثبتوا لهذا التحدي، بل أظهروا عجزًا صارخًا، وعيًّا بليدًا، وقد سجل الله عليهم نكوصهم عن مجاراة القرآن ومسايرته في آفاقه العالية؛ حيث قال تعالى: « قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ » [الإسراء:٨٨].

## عظمة القرآن الكريم

تعريف العظمة:

جاءت (العظمة) في اللغة بمعان عدة، نأخذ منها ما يدل على المقصود. قال ابن فارس: «العين والظاء والميم أصل واحد صحيح يدل على كبر وقوة.

ومن الباب (العَظْمُ) معروف، وقد سُمِّي بذلك لقوّته وشدته.

و(العِظَمُ: خلافُ الصِّغَر)، و(عَظَّمَهُ تعظيمًا وأعظمَهُ: فَخَّمَهُ وكَبَّرَهُ).

والتعظيم: التبجيل». ونخلص من هذا العرض لمعنى «عَظُمَ» في اللغة أنها تعني: الكِبَر، والقوّة والزَّهْوَ والحرمة، والوسط والشرف، والكثرة والتبجيل والفخامة.

### ما جاء في القرآن من ألفاظ العظمة

وردت لفظة «العظمة» وما يتفرع عنها في الآيات القرآنية في مواطن كثيرة منها:

١- قال الله تعالى: «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾» [الحجر:٨٧].

نوّه الله تعالى في هذه الآية بعظمة القرآن، ووصفه بأنه نعمة عظمى تتضاءل دونها جميع النعم.

٢- وقال تعالى: «قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾» [ص:٦٧].

لا ريب أن القرآن خبر عظيم، وحديث عظيم؛ لأنه كلام رب العالمين، ولأنه حوّل خط سير البشرية إلى الطريق الأقوم.

٣- قوله تعالى: «وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾» [الواقعة:٧٦- ٧٨].

قال ابن كثير رحمه الله: «قوله: «وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾» [الواقعة:٧٦] أي: وإن هذا القسم الذي أقسمتُ به لقسمٌ عظيم، لو تعلمون عظمته، لعظّمتم المقسم به عليه، «إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾» [الواقعة:٧٧] أي: إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم، «فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾» [الواقعة:٧٨] أي: معظّم في كتاب، معظم محفوظ موقّر».

٤- قوله تعالى: «ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾» [الحج:٣٢]، المراد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها: المناسك كلها، كما قال تعالى: «إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾» [البقرة:١٥٨]. ومعنى تعظيمها: إجلالها والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد.

ومنها: الهدايا، فتعظيمها: باستحسانها واستسمانها، وأن تكون مكملة من كل وجه، فتعظيم شعائر الله أساسه تقوى القلوب، فالمعظم لها، يبرهن على تقواه وصحة إيمانه؛ لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله.

وقد ذُكرت القلوب هنا لأن المنافق قد يُظهر التقوى للناس تصنُّعًا، وقد يكون قلبه خاليًا منها، فلا يكون مُجدًا في أداء الطاعات، أما المخلص الذي تكون التقوى متمكنة في قلبه، فإنه يُبالغ في أداء الطاعات على سبيل الإخلاص.

٥- قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾» [الحج:٣٠].

يخبر الله تعالى أن من يجتنب معاصيه ومحارمه، ويكون ارتكابها عظيمًا في نفسه، فهذا التعظيم يكون له خيراً وثواباً مُدخراً له في الآخرة عند ربه عز وجل.

ولأن تعظيم حرمات الله من الأمور المحبوبة لله، المقرّبة إليه، فمن عظمها وأجلها أثابه الله تعالى ثوابًا جزيلاً، وكانت له خيرًا في الدنيا والآخرة.

وحرمات الله: كل ما له حرمة، أو أمر باحترامه من عبادة أو غيرها، كالمناسك كلها، والحرم والإحرام، وكالهدي والعبادات المأمور بها شرعًا، فتعظيمها هو إجلالها بالقلب، وأداؤها من غير تهاون أو تكاسل أو تثاقل. [تفسير السعدي: ٣١٨/٣].

٦- قوله تعالى: «ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾» [الطلاق:٥].

أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن من خافه واتقاه، باجتناب معاصيه وأداء فرائضه، يمحو الله تعالى عنه ذنوبه وسيئات أعماله التي اقترفها؛

لأن التقوى من أسباب مغفرة الذنوب، ومعنى: «وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا» [الطلاق:٥] أي: يُعطه أجرًا عظيمًا في الآخرة، وهو الجنة، وقيل: بالمضاعفة. وقيل: إعظام الأجر أن يخلده في الجنة، ولا منافاة بين هذه الأقوال. وحاصلها: أن أجره يعظُمُ في الدنيا والآخرة.

٧- قوله تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾» [سورة التوبة: ٢٠].

إن الموصوفين بهذه الصفات الأربع في غاية الجلال والرِّفعة؛ لأن الإنسان ليس له إلا مجموع أمور ثلاثة: الروح والبدن والمال.

أما الرُّوح: فلما زال عنها الكفر وحصل فيها الإيمان، فقد وصلت إلى مراتب السعادات اللائقة بها، وأما البدن والمال: فبسبب الهجرة وقعا في النقصان، وبسبب الاشتغال بالجهاد صارا مُعرضين للهلاك والبطلان، ولا شك أن النفس والمال محبوبا الإنسان، والإنسان لا يعرض عن محبوبه إلا للفوز بمحبوب أكمل من الأول، فلولا أن طلب الرضوان أتم عندهم من النفس والمال، وإلا لما رجَّحوا جانب الآخرة على جانب النفس والمال، ولما رضوا بإهدار النفس والمال لطلب مرضاة الله تعالى.

واعلم أنه تعالى لم يقل أعظم درجة من المشتغلين بالسقاية والعمارة؛ لأنه لو عيّن ذكرهم لأوهمَ أن فضيلتهم إنما حصلت بالنسبة إليهم، ولما ترك ذكر المرجوح دل ذلك على أنهم أفضل من كل من سواهم على الإطلاق؛ لأنه لا يعقل حصول سعادة وفضيلة للإنسان أعلى وأكمل من هذه الصفات». [التفسير الكبير: ١٦/١٢].

«فإن قال قائل: كيف يستقيم قوله: «أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ» [سورة التوبة:٢٠]، وليس للمشركين درجة أصلاً؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أعظم درجة من درجتهم على تقديرهم في أنفسهم، وهذا مثل قوله تعالى: «أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾» [الفرقان: ٢٤] ومعناه على تقديرهم في أنفسهم.

والثاني: أن هؤلاء الصنف من المؤمنين أعظم درجة عند الله من غيرهم.

٨- قال تعالى: «وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾» [الحديد: ١٠].

ومعنى: «أَعْظَمُ دَرَجَةً» [الحديد: ١٠] أي: أعظم منزلة عند الله. وقيل: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها. [زاد المسير: ٨/١٦٤].

فلذلك كان من أسلم قبل الفتح وقاتل، أعظم درجة وأجرًا وثوابًا ممن لم يُسلم ويقاتل وينفق إلا بعد ذلك، كما هو مقتضى الحكمة، ولهذا كان السابقون وفضلاء الصحابة غالبُهم أسلم قبل الفتح.

ولما كان التفضيل بين الأمور قد يتوهم منه نقصٌ وقدح في المفضول احترز تعالى من هذا بقوله: «وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ» [الحديد: ١٠] أي: الذين أسلموا وقاتلوا وأنفقوا من قبل الفتح وبعده، كلهم وعده الله الجنة، وهذا يدل على فضل الصحابة كلهم رضي الله عنهم؛ حيث شهد الله لهم بالإيمان ووعدهم الجنة».

٩- قوله تعالى: «وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾» [المزمل: ٢٠]، لقد أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن الصدقة في الدنيا خير من الإمساك وأعظم ثوابًا، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا من الذي تؤخره إلى وصيتك عند الموت.

وقال الزجاج رحمه الله: تجدوه عند الله هو خيرًا لكم من متاع الدنيا.

«وليعلم أن مثقال ذرة في هذه الدار من الخير، يقابله أضعاف أضعاف الدنيا، وما عليها في دار النعيم المقيم، من اللذات والشهوات، وإن الخير والبر في هذه الدنيا، مادة الخير والبر في دار القرار، وبذره وأصله وأساسه.

هذا، وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# أثر السياق فى فهم النص

## الحلقة (٣٢) - المقاصد (٤)

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

استعرضنا مذاهب العلماء في العمل بالمصلحة المرسلة، وحقيقة الخلاف بين المذاهب، وأنه خلاف لفظي؛ لأن الجميع متفق على أن تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها؛ أصل شرعي ثابت، غير أن المذهب المالكي كان أصرح وأوضح في مراعاته للمصالح؛ باعتبارها المقصد العام للشريعة، والمقصد الخاص لكل حكم من أحكامها.

وبدأنا في ذكر أمثلة على العمل بالمصلحة، فذكرنا مثالاً عن البيوع، ونستكمل بإذن الله تعالى:

**المثال الثاني: بيع العين الغائبة أو غير المرئية:**

وهي العين المملوكة للبائع الموجودة في الواقع، ولكنها غير مرئية - غائبة عن البصر - وقت البيع والشراء، فقال: «المالكية يجوز بيع الغائب على الصفة، إذا كانت غَيْبته مما يؤمن أن تتغير فيه صفته قبل القبض، فإذا جاء على الصفة المذكورة كان البيع لازمًا؛ إذ أن هذا من الغرر اليسير، والصفة تنوب عن المعاينة بسبب غيبة المبيع، أو المشقة التي تحصل في إظهاره، وما قد يلحقه من الفساد بتكرار الظهور والنشر مثلاً، بل وإن لم يكن في فتحه فساد». [الفقه الإسلامي وأدلته: د. وهبة الزحيلي ١٣٤/٥].

فالأصل في البيع المعاينة والمشاهدة حتى لا يقع غرر على أحد المتبايعين، لكن المصلحة تقتضي أحيانًا بيع غير المرئي (الغائب)، لكنه في ملك البائع، عن طريق الوصف الكاشف له، فإذا تبينت المطابقة بين المبيع بعد مشاهدته وبين الوصف لزم البيع، وإلا كان للمشتري خيار الخلف عند جمهور الفقهاء، وبيع الغائب مع الوصف صحيح عند الجمهور في الجملة (الحنفية والمالكية والحنابلة، وهو مقابل الأظهر عند الشافعية)، فقد أجازه الحنفية ولو لم يسبق وصفه، وفي قول للشافعية: لا بدَّ من الوصف؛ لأن المشترى هنا على خيار الرؤية على كل حال، سواء مع الوصف والمطابقة، أو المخالفة، ومع عدم الوصف وهو خيار حكمي لا يحتاج إلى اشتراط.

وأجازه الحنابلة مع الوصف على الوجه المطلوب لصحة السَّلَم (بيع السَّلم)، وقصروا الخيار على حال عدم المطابقة.

وأجازه المالكية بثلاثة شروط:

أ- ألا يكون قريبًا جدًا بحيث تمكن رؤيته بغير مشقة؛ لأن بيعه غائبًا في هذه الحال عدول عن اليقين (المشاهدة والمعاينة) إلى توقع الضرر فلا يجوز.

ب- ألا يكون بعيدًا جدًا؛ لتوقع تغيره قبل التسليم، أو لاحتمال تعذر تسليمه.

ج- أن يصفه البائع بصفاته التي تتعلق الأغراض بها، وهي صفات السَّلم.

- والأظهر في مذهب الشافعية: أنه لا يصح بيع الغائب، وهو ما لم يره المتعاقدان أو أحدهما، وإن كان حاضرًا؛ للنهي عن بيع الغرر. [الموسوعة الفقهية: ٢٣/٩ -٢٥ بتصرف يسير].

والراجح - والله أعلم - الجواز، وقد استدلوا لجوازه بعموم قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة:٢٧٥]، وبما رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار: أن عثمان وطلحة رضي الله عنهما تبايعا مالاً بالكوفة، فقال عثمان: لي الخيار؛ لأني بعت ما لم أر. وقال طلحة: لي الخيار؛ لأني ابتعت ما لم أر.

فحكما بينهما جبير بن مطعم رضي الله عنه، فقضى بالخيار لطلحة (المشتري) ولا خيار لعثمان (البائع) رضي الله عنهما، فدل ذلك على ثبوت الخيار للمشتري.

يقول الطحاوي: والآثار في ذلك قد جاءت متواترة، وإن كان أكثرها منقطعًا، فإنه منقطع لم يضاده متصل. [شرح معاني الآثار ١٠/٤- ٥٥٠٧].

فاتفق هؤلاء الثلاثة بحضرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على جواز بيع شيء غائب عن بائعه، وعن مشتريه.

وكذلك أورد الطحاوي أن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن بحينة رضي الله عنهما تبايعا أرضًا لعبد الله بن بحينة اشتراها منه عبد الله بن عمر على أن ينظر إليها.. فتبايعا على ما هو غائب، ورأيا ذلك جائزًا. [انظر: شرح معاني الآثار ٤/٣٦١- ٣٦٢].

– أما بالنسبة للثمن، فهو لا يُدفع عند الاتفاق في مجلس العقد لزومًا، كبيع السَّلم؛ إذ من شروط صحة بيع السَّلم تسليم الثمن كاملاً في مجلس العقد.

لكن بيع الغائب لا يلزم دفع الثمن في مجلس العقد، ولا يشترط، لكن إن دفعه المشتري تطوعًا كان جائزًا.

فائدة:

خيار الرؤية: بيع الشيء قبل رؤيته (بيع الغائب) يُثبت خيار الرؤية للمشتري، فله الأخذ وله الرد عند رؤيته.

ويكون العقد الوارد على العين الغائبة أو غير المرئية (وهي مملوكة للبائع) غير لازم لمن ثبت له الخيار، فيخير بين الفسخ والإجازة عند رؤية المعقود عليه؛ لأن عدم الرؤية يمنع تمام الصفقة، ولأن جهالة وصف المعقود عليه تؤثر في رضا المتملك (المشتري) فتثبت له الخيار، سواء أكان المعقود عليه موافقا للوصف المتفق عليه أم مخالفا له، وهذا مذهب الحنفية، وقال الحنابلة والمالكية: العقد لازم للمتملك (المشتري) إذا وجد المعقود عليه مطابقا للوصف المتفق عليه، فإن كان مخالفا لما وصف، ثبت له الخيار. [الفقه الإسلامي وأدلته: د. وهبة الزحيلي ٤/٦٢٤].

**أمثلة معاصرة للمصلحة المرسلة:**

١- الاستعانة بمكبرات الصوت، وبوسائل التكنولوجيا المعاصرة في الأذان والصلوات والجُمعات، وخطب العيدين، وعرفات، ومناسك الحج والعمرة والتراويح.. إلى غير ذلك.

فهذه الوسائل المعاصرة مُفضية إلى تحقيق مصالح كثيرة، منها إذاعة القرآن الكريم، والأذان، وإسماع جميع الناس، وحُسن إفادتهم بالعلم النافع.

ومع أن مكبرات الصوت والوسائل التكنولوجية لم ينص عليها القرآن ولا السنة، ولم توجد في عهد السلف، وإنما وجدت ما يؤيدها في دين الله تعالى، من حيث كونها خادمة لنشر الدين وإذاعته.

٢- تسجيل العقود وتوثيقها في الدوائر الحكومية والقضائية، معلل بمصلحة حفظ الحقوق وضمانها، ولاسيما في عصرنا الحاضر الذي تكاثرت فيه القضايا، وتشعبت فيه المعاملات، وكثرت فيه الحِيَل، وقلت فيه الأمانات، والأمر الذي أوجب توثيق عقود الأنكحة وغيرها، وما يترتب عليه من نسب ونفقة، وحضانة، ومهور، ومسئوليات قانونية وأدبية وتربوية، وغير ذلك.

وهذا التصرف المتعلق بلزوم التوثيق والتسجيل لدى الدوائر الحكومية، لم يُنص عليه صراحة، وإنما دعت إليه القواعد والمقاصد الشرعية، وذلك من خلال الدعوة إلى أداء الحقوق، وحفظ الأمانات، ومنع التعدي على الغير.

**- الارتباط بين مقاصد الشارع ومصالح الخلق:**

لقد بلغ من شدة وضوح الارتباط بين مقاصد الشارع ومصالح الخلق، أن نجد أحد كبار الفقهاء المالكية، وهو أبو بكر بن العربي يقرر أن قواعد المعاملات وأسس المعاوضات أربعة، وهي:

١- قوله تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾» [البقرة:١٨٨].

٢- وقوله تعالى: «وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟» [البقرة:٢٧٥].

٣- وأحاديث الغرر.

٤- واعتبار المصالح والمقاصد. [أحكام القرآن للقاضي أبي بكر بن العربي ١/١٣٧].

وعلى ضوء ربط الأحكام بمصالح الخلق، نرى بعض التعليلات للإمام مالك تربط الأحكام بمصالحها، وتفهم النصوص بمقاصدها.

فمن ذلك ما أورده القرطبي في تفسيره، عن حكم الضيافة التي جاء الأمر بها في الأحاديث: كحديث أبي شريح الكعبي رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يُحرِجه». [متفق عليه].

فمتى تجب الضيافة ومتى لا تجب؟ قال القرطبي: «اختلف العلماء فيمن يخاطب بها، فذهب الشافعي ومحمد بن الحكم إلى أن المخاطب بها أهل الحضر والبادية، وقال مالك: ليس على أهل الحضر ضيافة».

قال سحنون: إنما الضيافة على أهل القرى، وأما الحضر فالفندق ينزل فيه المسافرون. [تفسير

القرطبي ٩/٦٤].

ومعنى هذا أن مالكًا أدار الحكم على مقصوده وحكمته، وهي سدّ حاجة المسافر والمهاجر، فإذا كان يجد لنفسه أماكن للإقامة والمبيت وغير ذلك من ضروراته، فقد سقط وجوب استضافته، ويبقى التفضل والإحسان، وإذا لم يجد ذلك وجب على أهل البلد استضافته، وهو واجب كفائي.

ومن ذلك ما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له، فليرجع». [متفق عليه].

فنظر مالك إلى مقصود الحديث، ففي تفسير القرطبي: قال ابن وهب: قال مالك: الاستئذان ثلاث، لا أحب أن يزيد أحد عليها؛ إلا من علم أنه لم يُسمِع، فلا أرى بأسًا أن يزيد إذا استيقن أنه لم يسمع. [تفسير القرطبي ١٢/٢١٤].

- ومن ذلك أيضا ما جاء في السواك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بتأخير العشاء، وبالسواك عند كل صلاة». [متفق عليه].

قال ابن العربي: «اختلف العلماء في السواك: فقال إسحاق: إنه واجب، ومن تركه عمدًا أعاد الصلاة، وقال الشافعي: سنة من سنن الوضوء.

واستحبه مالك في كل حال يتغير فيها الفم. [تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ١/٨٨]. و[انظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ١/٧٢- ٧٣].

## حقيقة احتجاج الصحابة بالمصلحة:

نسب البعض - بالخطأ - أن الصحابة كانوا يقدمون المصلحة على النص، وممن تولى كِبَر هذا نجمُ الدين الطوفي.

[نجم الدين الطوفي: اعتقد الرفض، وعُزِّر بالقاهرة على الرفض.

ويقال: إنه تاب أخيرًا من الهجاء والرفض، وكان تعزيره على قوله:

**كم بين من شك في خلافته**

**وبين من قيل إنه الله**

[انظر: الوافي بالوفيات ١٩/٤٣، وأعيان العصر ٣/١٣٠].

وفي ذيل طبقات الحنابلة: واشتهر عنه الرفض والوقوع في أبي بكر وابنته عائشة رضي الله عنهما، وفي غيرهما من جملة الصحابة رضي الله عنهم، وقيل: إنه لم يتب من الرفض وإنما أظهر التوبة تقية. [انظر: ذيل طبقات الحنابلة ٤/٤١٥].

ولقد ذكرنا أن المصلحة الحقيقية لا تتعارض مع النصوص، وإن تعارضت تكون مصلحة ملغاة لا تَعَبُّد بها في مجال الأحكام الشرعية، لكن الذين اقتفوا أثر نجم الدين الطوفي، وساروا في دربه استدلوا على صحة القضية بعمل الصحابة رضي الله عنهم، وبعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا: إنه كان يقدم المصلحة على النصوص، وجاوزوا في ذلك الحق والحقيقة.

فما كان لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين عايشوا الوحي، وتربوا عليه أن يخرجوا على الوحي بالمصلحة أو غيرها، فهم كما قال أبو بكر رضي الله عنه: أي أرض تُقلني، أو أي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله بما لا أعلم. [الأثر منقطع، قال الحافظ ابن حجر بعد أن أشار إلى رواية أخرى منقطعة أيضا: لكن أحدهما يقوي الآخر - فتح الباري ١٣/٢٧١].

فمجرد التأويل بالرأي في كتاب الله، وليس خارجه، يعده أبو بكر رضي الله عنه كبيرة لا تتصور معها أن تقله أرض الله، أو تظله سماؤه.

## عمر رضي الله عنه وتمسكه بالنص

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنه كان لي صاحبان عملا عملاً، وسلكا طريقًا، إن عملت بمثل عمليهما سلكت طريقهما، وإن عملت بغيره لم أسلك في طريقهما. [أخرجه عبد بن حميد في مسنده: (٢٥)، وابن المبارك في الزهد (٢٠١)، وغيرهما، وهو صحيح].

وانظر إلى موقفه رضي الله عنه من الرَّمَل والاضطباع في الطواف، يقول أسلم مولى عمر: إنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: فيم الرملان (الرمل) اليوم، والكشف عن المناكب (الاضطباع)، وقد أطأ (أثبت وأحكم) الله الإسلام، ونفى الكفر وأهله. ومع ذلك لا ندع شيئًا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. [صحيح سنن أبي داود وغيره].

وكان عمر ينزل عن رأيه إذا سمع حديثًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف رأيه، فكان عمر بن الخطاب يقول: الدية للعاقلة (العصبة والأقارب من جهة الأب)، لا ترث المرأة من دية زوجها شيئًا، حتى قال الضحاك بن سفيان رضي الله عنه: كتب إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها، فرجع

عمر. [صحيح سنن أبي داود وغيره].

ومواقف عمر من اتباعه للنصوص وتمسكه بها وطرح الرأي كثيرة، وهو القائل: إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا. [جامع بيان العلم لابن عبد البر ص٤٧٦، وهو صحيح].

قال سحنون: يعني البدع. وقال أبو بكر بن أبي داود: أهل الرأي هم أهل البدع.

فلا يتصور عن عمر رضي الله عنه وهو الذي يتلو قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [الحجرات:١] أن يتقدم برأيه على الوحي - بزعم المصلحة - كما يزعمون.

- ولو رد هؤلاء الأمر إلى الذين يستنبطونه، لعلموا الوجهة الصحيحة كما فعله عمر رضي الله عنه، بدلا من أن: يقولوا إن عمر قدّم المصلحة على النص، وإليك توجيه بعض ما شنعوا به على عمر رضي الله عنه:

١- إبطال سهم المؤلفة قلوبهم:

قيل: إن عمر رضي الله عنه أبطل سهم المؤلفة قلوبهم الوارد في مصارف الزكاة في قوله تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)» [سورة التوبة:٦٠] إعمالاً للمصلحة في مواجهة النص، لكن بالتأمل نرى أن لكل حكم مناطا للتطبيق، ومناط تطبيق هذا النص هو تأليف القلوب.

وقد نظر عمر فإذا الإسلام قد عزّ، ودانت له أكبر إمبراطوريتين في العالم - الفرس والروم - ولم يعد الإسلام بحاجة إلى تأليف القلوب، أو إلى المؤلفة قلوبهم، وإذا كان النص يدور حول علته وجودًا وعدمًا، فإن إعمال النص نفسه يقتضي الكف عن إعطاء هذا الفريق من الناس بعد أن عز الإسلام وعزت دولته.

فالحكم بوجود مؤلفة قلوبهم أو عدم وجودهم مرهون بوضع الجماعة المسلمة، فإن احتاجوا إلى تأليف القلوب، فحينئذٍ يوجد المؤلفة، ويستحقون نصيبًا مفروضًا في القرآن، وإن لم يحتاجوا إلى التأليف فكيف يوجد المؤلفة إذن.

وقد وافق عمرَ على هذا جموعُ الصحابة، وفي حد علمي لم يحدث معارضة أو جدال فيه، فما فعله عمر رضي الله عنه لم يكن إلغاء للآية أو نسخًا لها، وإنما كان منعًا لسهم لم يوجد في عصره مَن يستحقه، ولو مرتْ بالمسلمين في عهد عمر أو بعده ظروف يُحتاج معها إلى تأليف القلوب لأخرج سهمها.

بل إن عمر رضي الله عنه أنكر إعطاء سهم المؤلفة قلوبهم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فقد جاء عيينة والأقرع يطلبان أرضًا إلى أبي بكر فكتب لهما الخط فمزقه عمر، وقال: هذا شيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيكموه لتأليفكم على الإسلام، والآن فقد أعز الله الإسلام وأغنى عنكم، فإن ثبتّم على الإسلام وإلا فبيننا وبينكم السيف، فرجعوا إلى أبي بكر فقالوا: الخليفة أنت أم عمر؟ فقال: هو إن شاء، ووافقه فلم ينكر أحد من الصحابة. [فتح القدير للكمال بن همام ٦٠/٢، وأوردها الطبري في تفسيره بنحوها ٣١٥/١٤].

فكان بمثابة إجماع، يقول الجصاص: «فترك أبي بكر الصديق النكير على عمر فيما فعله، بعد إمضائه الحكم، يدل على أنه عرف مذهب عمر حين نبّهه إليه، وإن سهم المؤلفة قلوبهم كان مقصورًا على الحال التي كان عليها أهل الإسلام من قلة العدد وكثرة عدد الكفار». [أحكام القرآن للجصاص ٣٢٥/٤].

فعمر رضي الله عنه والصحابة لم يخالفوا الآية، وإنما أوقفوا العمل بها حتى يوجد من تنطبق عليه، وقد حدث هذا في عهد عمر بن عبد العزيز - حفيد عمر بن الخطاب - لما تألف قلب بطريق وأعطاه ألف دينار لحاجة المسلمين ومصلحتهم، وعملاً بالآية والسنة. [انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٧٠/٥، منهج عمر بن الخطاب في التشريع، د. محمد بلتاجي: ص١٤٨- ١٦٠].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

# الصلاة وأحكامها «٣»

## مواقيت الصلاة

الحلقة الثانية

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أحكام الصلاة، وقد سبق الحديث عن أحكام بعض مواقيت الصلاة، واليوم نتناول بمشيئة الله تعالى أحكام باقي المواقيت، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

### ٣- وقت العصر:

وقت صلاة العصر يدخل بصيرورة ظل الشيء مثله بعد فيء الزوال، ويمتد إلى غروب الشمس. [فقه السنة - الشيخ سيد سابق ج ١ ص ١٠٠].

وقد اختلفوا في وقت صلاة العصر في موضعين: أحدهما في اشتراك أول وقتها مع آخر وقت صلاة الظهر. والثاني في آخر وقتها.

فأما اختلافهم في الاشتراك، فقد اتفق مالك والشافعي وداود وجماعة على أن أول وقت العصر هو بعينه آخر وقت الظهر، وذلك إذا صار ظل كل شيء مثله، إلا أن مالكًا يرى أن آخر وقت الظهر وأول وقت العصر هو وقت مشترك للصلاتين معًا، والمراد بالاشتراك أن يكون بينهما وقت مشترك؛ بحيث يكون الوقت النهائي للظهر، والابتدائي لصلاة العصر، وأما الشافعي وأبو ثور وداود فآخر وقت الظهر عندهم هو الآن الذي هو أول وقت العصر، وهو زمان غير منقسم. [بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد ١/٥٩].

وأما سبب اختلاف مالك مع الشافعي، ومن قال بقوله في هذه، فمعارضة حديث جبريل في هذا المعنى لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وذلك أنه جاء في إمامة جبريل أنه صلى بالنبي عليه الصلاة والسلام الظهر في اليوم الثاني في الوقت الذي صلى فيه العصر في اليوم الأول. وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال عليه الصلاة والسلام: «وقت الظهر ما لم يحضر وقت العصر» خرّجه مسلم.

فمن رجّح حديث جبريل جعل الوقت مشتركًا، ومن رجّح حديث عبد الله لم يجعل بينهما اشتراكًا، وحديث جبريل أمكن أن يُصرف إلى حديث عبد الله من حديث عبد الله إلى حديث جبريل؛ لأنه يحتمل أن يكون الراوي تجوز في ذلك؛ لقرب ما بين الوقتين، وحديث إمامة جبريل صححه الترمذي وحديث ابن عمر أخرجه مسلم [المصدر السابق].

وقال بعضهم: إن هناك فاصلاً بين وقت الظهر ووقت العصر لكنه يسير، والصحيح أنه لا اشتراك، ولا انفصال، فإذا خرج وقت الظهر دخل وقتُ العصر. إذ لو كان هناك فاصل فلا موالاة، وأنه لا اشتراك بين الوقتين؛ إذ لو كان هناك اشتراك لَدَخَل وقتُ العصر قبل خروج وقت الظهر. [الشرح الممتع، محمد بن صالح العثيمين ٢/١٥].

وقال أبو حنيفة: أول وقت العصر أن يصير ظل كل شيء مثليه، والأحاديث الصحيحة ترد هذا القول.

وينتهي وقت العصر عند جمهور الفقهاء قبيل غروب الشمس؛ لحديث: «من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس، فقد أدرك الصبح، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس، فقد أدرك العصر» وقال أبو حنيفة: آخره الاصفرار، وقال الاصطخري: آخره المثلان وبعدها قضاء. والأحاديث ترد عليهما. [نيل الأوطار للشوكاني ١/٢٩٣].

وقال فريق: إن آخر وقتها ما لم تصفر الشمس، وهذا قول أحمد بن حنبل. وقال أهل الظاهر: آخر وقتها قبل غروب الشمس بركعة.

والسبب في اختلافهم أن في ذلك ثلاثة أحاديث متعارضة: أحدها حديث عبد الله بن عمر خرجه

مسلم وفيه: «فإذا صليتم العصر فإنه وقت إلى أن تصفر الشمس»، وفي بعض رواياته «وقت العصر ما لم تصفر الشمس».

والثاني حديث ابن عباس في إمامة جبريل، وفيه أنه صلى به العصر في اليوم الثاني حين كان ظل كل شيء مثليه.

والثالث حديث أبي هريرة رضي الله عنه المشهور: «من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر، ومن أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح»، فمن صار إلى ترجيح حديث إمامة جبريل جعل آخر وقتها المختار المثلين، ومن صار إلى ترجيح حديث ابن عمر رضي الله عنهما جعل آخر وقتها المختار اصفرار الشمس، ومن صار إلى ترجيح حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: وقت العصر إلى أن يبقى منها ركعة قبل غروب الشمس، وهم أهل الظاهر كما قلنا.

وأما الجمهور فسلكوا في حديث أبي هريرة وحديث ابن عمر مع حديث ابن عباس، إذ كان معارضًا لهما كل التعارض مسلك الجمع؛ لأن حديثي ابن عباس وابن عمر تتقارب الحدود المذكورة فيهما، ولذلك قال مالك مرة بهذا، ومرة بذلك. وأما الذي في حديث أبي هريرة فبعيدٌ منهما ومتفاوت، فقالوا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه إنما خرج مخرج أهل الأعذار. [بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد ٥٩/١].

قال النووي في شرح مسلم: قال أصحابنا: للعصر خمسة أوقات: وقت فضيلة. واختيار وجواز بلا كراهة. وجواز مع كراهة. ووقت عذر، فأما وقت الفضيلة فأول وقتها. ووقت الاختيار، يمتد إلى أن يصير ظل الشيء مثليه، ووقت الجواز إلى الاصفرار، ووقت الجواز مع الكراهة حال الاصفرار إلى الغروب، ووقت العذر، وهو وقت الظهر في حق من يجمع بين العصر والظهر، لسفر أو مطر، ويكون العصر في هذه الأوقات الخمسة أداء.

قلت: وهذا التقسيم وإن كان حسنًا؛ لما فيه من الجمع بين الأحاديث، إلا أنه يشكل عليه حديث أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كان بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعًا، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً» رواه مسلم. فإنه بيّن أن تأخير الصلاة بعد اصفرار الشمس لا يجوز، وأن هذه هي صلاة المنافقين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن وقت الضرورة يبقى إلى أن تغيب جميع الشمس، ومعنى ذلك أن أهل الضرورة والعذر الذين لا يمكنهم الصلاة قبل تغير الشمس، مثل الحائض تطهر، والمجنون والمغمى عليه يفيقان، والنائم ينتبه، والصبي يبلغ بعد اصفرار الشمس، يصلونها أداء في هذا الوقت من غير إثم، فأما من تمكنه الصلاة قبل هذا الوقت فلا يجوز له تأخيرها ألبتة، فإن أخرها وصلاها فهي أداء مع كونه آثمًا، فأما المريض يبرأ فقد ألحق بالقسم الأول، وهذا أشهر لأن من يقدر على الصلاة، فإنه لا يحل له تأخيرها عن وقت الاختيار، إلا أن يكون مغلوبًا على عقله». [شرح العمدة في الفقه لشيخ الإسلام ابن تيمية ٨٦١/٣].

«ويُسَنُّ تَعجيلُها»، أي: يُسَنُّ في صلاة العصر تعجيلُها في أوَّل الوقت؛ وذلك لما يلي:

١- لعموم الأدلة الدَّالة على المبادِرة إلى فعل الخير، كما في قوله تعالى: «فاسْتَبِقوا الخَيْرَاتِ» [البقرة: ٨٤١].

٢- ما ثبت أن الصَّلاة في أوَّل وقتها أفضل.

٣- ما ثبت عن النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام من حديث أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمي رضِي الله عنه أنه كان صلى الله عليه وسلم يُصلي العصرَ والشمسُ مرتفعة؛ حتى إنهم يذهبون إلى رحَالهم في أقصى المدينة والشمسُ حَيَّة. [الشرح المُمتِع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ١٥/٢].

## هل صلاة العصر هي الصلاة الوسطى؟

صلاة العصر هي الصلاة الوسطى عند أكثر العلماء، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة مصرحة بأن صلاة العصر هي الصلاة الوسطى. فعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب: «ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس» رواه البخاري ومسلم [فقه السنة - الشيخ سيد سابق ج ١ ص ١٠٠].

وعن ابن مسعود وسمرة رضي الله عنهما قالا: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الصلاة الوسطى: صلاة العصر» [الترمذي: ١٨٢].

وسميت وسطى لأنها بين صلاتين من صلاة الليل، وصلاتين من صلاة النهار. والمشهور عند مالك: أن صلاة الصبح هي الوسطى؛ لما روى النسائي عن ابن عباس قال: «أدلج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عرّس، فلم يستيقظ حتى طلعت الشمس أو بعضها، فلم يصل حتى

ارتفعت الشمس، فصلى وهي صلاة الوسطى» [الفقهُ الإسلاميُّ وأدلّتُهُ وَهْبَة الزّحَيْلِيّ ١/٧٨٥].

قلت: وما ذهب إليه الجمهور أرجح وأقوى دليلا.

## وقت المغرب

من غروب الشمس بالإجماع، أي غياب قرصها بكامله، ويمتد عند الجمهور (الحنفية والحنابلة والأظهر عند الشافعية وهو مذهب الشافعي القديم) إلى مغيب الشفق؛ لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما «وقت المغرب ما لم يغب الشفق». والشفق عند الصاحبين والحنابلة والشافعية: هو الشفق الأحمر، لقول ابن عمر: «الشفق: الحمرة»، والفتوى عند الحنفية على قول الصاحبين، وقد رجع الإمام إليه، وهو المذهب.

والمشهور عند المالكية ومذهب الشافعي الجديد غير الأظهر المعمول به لدى الشافعية: أن وقت المغرب ينقضي بمقدار وضوء وستر عورة وأذان وإقامة وخمس ركعات، أي أن وقته مضيق غير ممتد؛ لأن جبريل عليه السلام صلى بالنبي عليه الصلاة والسلام في اليومين في وقت واحد، كما ذكر في حديث جابر المتقدم، فلو كان للمغرب وقت آخر لبينه. [الفقهُ الإسلاميُّ وأدلّتُهَا: وَهْبَة الزّحَيْلِيّ ١/٦٨٥].

قال ابن رشد: فمن رجح حديث إمامة جبريل جعل لها وقتا واحدًا، ومن رجح حديث عبد الله جعل لها وقتا موسعًا، وحديث عبد الله أخرجه مسلم، ولم يخرج الشيخان حديث إمامة جبريل: أعني حديث ابن عباس الذي فيه أنه صلى بالنبي عليه الصلاة والسلام عشر صلوات مفسرة الأوقات، ثم قال له: «الوقت ما بين هذين»، والذي في حديث عبد الله من ذلك هو موجود أيضا في حديث بريدة الأسلمي، وهو أصل في هذا الباب. [بداية المجتهد ونهاية المقتصد ١/٦٩١].

وحديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه -الذي أشار إليه ابن رشد- أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله عن وقت الصلاة؟ فقال: صل معنا هذين يعني اليومين، فأمر بلالاً حين زالت الشمس، فأذن ثم أمره فأقام الظهر، ثم أمره فأقام العصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية، ثم أمره فأقام المغرب حين غابت الشمس، ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشفق، ثم أمره فأقام الفجر، فلما كان اليوم الثاني أمره فأبرد بالظهر فأنعم أن يبردها، ثم أمره فأقام العصر والشمس مرتفعة آخر ما فوق ذلك الذي كان، ثم أمره فأقام المغرب قبل أن يغيب الشفق، ثم أمره فأقام العشاء حين ذهب ثلث الليل، ثم أمره فأقام الفجر فأسفر بها، ثم قال: أين السائل عن وقت الصلاة؟ فقام إليه الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاتكم بين ما رأيتم». [الترمذي ١/٥٠٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وصح عنه أن أصحابه كانوا يصلون بحضرته ركعتين بين الأذانين، ولو لم يجز تأخيرها عن أول الوقت لم يجز شيء من ذلك، ولأنها إحدى الصلوات الخمس فاتسع وقتها كغيرها، ولأنها تجمع إلى ما بعدها، فإن قيل: هذا معارض بحديث جبريل، فإنه صلى المغرب في اليومين لوقت واحد حين غربت الشمس، وذلك يقتضي أنه يجب المبادرة إليها حين الغروب.

قلنا: الجواب عن حديث جبريل أنه لعله قصد تبيين المواقيت التي لا كراهة في المداومة عليها أولا وآخرًا، ثم هو حديث متقدم كان بمكة، والأحاديث المدنية الصحاح الصرائح قاطعة في جواز التأخير، فإن كان معارضا لها كانت هي الناسخة له كما تقدم، ومرجحة بصحة أسانيدها وكثرة رواتها، وعلى هذا فالحديث يفيد أن السنة فيها التعجيل، وأن المداومة على تأخيرها منهي عنه بخلاف بقية الصلوات». [شرح العمدة في الفقه لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٨٦١].

قال النووي في شرح مسلم: «وذهب المحققون من أصحابنا إلى ترجيح القول بجواز تأخيرها ما لم يغب الشفق، وأنه يجوز ابتداؤها في كل وقت من ذلك، ولا يأثم بتأخيرها عن أول الوقت». وهذا هو الصحيح أو الصواب الذي لا يجوز غيره.

## وقت العشاء

أول وقتها عند أكثر أهل العلم يبدأ من مغيب الشفق الأحمر، والدليل على ذلك: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وحديث جبريل المتقدم ذكرهما، فإنهما يدلان على أنّ وقت العشاء يدخل بمغيب الشفق. [الشرح الممتع ٢/ ٣٥]، ولقول ابن عمر المتقدم: «الشفق الحمرة، فإذا غاب الشفق وجبت الصلاة» [الفقهُ الإسلاميُّ وأدلّتُهُ ١/٧٨٥].

وآخر وقتها عند الجمهور إلى طلوع الفجر الصادق، والمشهور في مذهب المالكيّة أنّ آخر وقتها ثلث الليل؛ لحديث إمامة جبريل المتقدّم، وفيه: «أنه صلاهما في اليوم الثاني في ثلث الليل».

وذهب الحنابلة إلى أنّ آخر وقتها الاختياريّ ثلث الليل، وبعده إلى طلوع الفجر وقت ضرورة، بأن

يكون مريضًا شفي من مرضه، أو حائضاً أو نفساء طهرتا. [الموسوعة الفقهية الكويتية ٨/ ٣١٢].

وذهب الإمام أحمد في رواية عنه، واختارها بعض أصحابه كالموفق والمجد ابن تيمية وغيرهم من فقهاء الحنابلة إلى أن آخر وقت الجواز هو نصف الليل. وما بعده وقت ضرورة [شرح زاد المستقنع، الشيخ حمد بن عبد الله الحمد ٨١/٤].

وذهب بعض أهل العلم إلى أن آخر وقت العشاء هو نصف الليل. [انظر في هذا: الشرح الممتع ٢/ ٣٥].

وقد رد الجمهور دليل المالكية بحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وفيه: «ووقت العشاء إلى نصف الليل»، وبما ثبت في البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «أخر النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء إلى نصف الليل». قالوا: فدل هذان الحديثان الأول من قوله، والثاني من فعله - صلى الله عليه وسلم - على أن آخر وقت الجواز لصلاة العشاء هو نصف الليل. وأما حديث جبريل فهو حديث مكي متقدم - وحينئذ - يرجح عليه الأحاديث المدنية. [شرح زاد المستقنع الشيخ حمد بن عبد الله الحمد ٨١/٤].

واحتج الجمهور لمذهبهم بحديث أبي قتادة رضي الله عنه لما ناموا: «أما إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الأخرى» رواه أحمد ومسلم وأبو داود، فإنه يقتضي امتداد كل صلاة إلى وقت التي تليها. [شرح العمدة في الفقه لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٧١/٣].

قالوا: وإنما يستثنى من ذلك ما دل الإجماع على استثنائه، وهو صلاة الفجر، فنهاية وقتها على الإطلاق هو طلوع الشمس بإجماع أهل العلم. أما العشاء فليس فيها إجماع بل جماهير العلماء على ما تقدم. [شرح زاد المستقنع الشيخ حمد بن عبد الله الحمد ٨١/٤].

ولما روى يحيى بن آدم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا يفوت وقت الظهر حتى يدخل وقت العصر، ولا يفوت وقت العصر حتى يدخل وقت المغرب، ولا يفوت وقت المغرب إلى العشاء، ولا يفوت وقت العشاء إلى الفجر» وروى الخلال أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يفوت وقت العشاء إلى الفجر» [شرح العمدة في الفقه لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٧١/٣].

قالوا: ويدل على ذلك آثار الصحابة - كما صح عن عبد الرحمن بن عوف، وابن عباس رضي الله عنهم في سنن البيهقي - أنهم أفتوا بالحائض تطهر قبل الفجر أنها تقضي الصلاة أي صلاة العشاء».

قالوا: ولو لم يكن هذا من وقت العشاء لم يلزمها ولا يلزم غيرها من المعذورين من أهل الضرورات - لم يلزمهم قضاء العشاء ولا قضاء الصلاة المجموعة إليها. [شرح زاد المستقنع الشيخ حمد بن عبد الله الحمد ٨١/٤].

وقال بعض أهل العلم في الرد على الجمهور: ولكن هذا ليس فيه دليل - يعني حديث أبي قتادة؛ لأن قوله: «إنما التفريط على من أخر الصَّلاة حتى يدخل وقتُ الصَّلاة الأخرى»، يعني: فيما وقتاهما متَّصل،ولهذا لا يدخل فيه صلاة الفجر مع صلاة الظهر بالإجماع، فإن صلاة الفجر لا يمتدُّ وقتها إلى صلاة الظهر بالإجماع. وإذا لم يكن في هذا الحديث دليل؛ فالواجب الرُّجوع إلى الأدلة الأخرى، والأدلَّة الأخرى ليس فيها دليل يدلُّ على أن وقت العشاء يمتدُّ إلى طلوع الفجر، بل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وحديث جبريل، يدلان على أن وقت العشاء ينتهي عند منتصف الليل.

وهذا الذي دلَّت عليه السُّنَّة، هو الذي دلَّ عليه ظاهر القرآن؛ لأن الله عزَّ وجل قال في القرآن: « أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا » [الإسراء: ٧٨]، أي: من دُلوك الشمس، لكن أتى باللام للدَّلالة على أن دخول الوقت علَّة في الوجوب، أي: سبب، ويكون غسق الليل عند منتصفه؛ لأن أشدَّ ما يكون الليل ظلمة في النصف، حينما تكون الشمس منتصفة في الأفق من الجانب الآخر من الأرض. إذاً: من نصف النهار الذي هو زوالها إلى نصف الليل جعله الله وقتاً واحداً؛ لأن أوقات الفرائض فيه متواصلة، الظهر، يليه العصر، يليه المغرب، يليه العشاء، إذاً ما بعد الغاية خارج، ولهذا فصل فقال: «وَقُرْآنَ الْفَجْرِ» ففصل وجعل الفجر مستقلاً، فدل هذا على أن الصَّلوات الخمس أربعٌ منها متتالية، وواحدة منفصلة. [الشرح الممتع ٢/ ٣٥].

والنفس أميل إلى ماذهب إليه الجمهور لحديث أبي قتادة المتقدم، وللآثار عن الصحابة. وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

# ماذا بعد الحج؟!

إعداد / عبده أحمد الأقرع

الحمد لله الذي جعل الحج إلى البيت الحرام تُغفر به الذنوب، وتحط به الخطايا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أكرمُ من قصد، وأرحمُ من مَلك، وأعدل من حكم، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُه ورسوله إلى العرب والعجم، وبعدُ:

فبعد أيامٍ قلائل يقف الحجيج بعرفات، وقد رفعوا أكف الضَّراعة، وذرفوا دموع الخشية والإنابة، مستغلين شرف الزمان والمكان، بالعمل الصالح، والإقبال على الله سبحانه؛ راجين ما وعدهم الله به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله يباهي بأهل عرفاتٍ أهل السماء، فيقول لهم: انظروا إلى عبادي جاءوني شُعثًا غبرًا». [صحيح الترغيب رقم: ٢٥١١].

وقال صلى الله عليه وسلم يوم أن وقف بعرفات وقد كادت الشمس أن تؤوب، فقال: «يا بلال، أنصتْ لي الناس»، فقام بلال، فقال: أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنصتَ الناسُ، فقال: «يا معشرَ الناس! أتاني جبرائيل آنفًا، فأقرأني من ربي السلامَ، وقال: إنَّ الله عزَّ وجل غفر لأهل عرفات، وأهل المشعر، وضمن عنهم التبعات»، فقام عمرُ بنُ الخطاب، فقال: يا رسول الله، هذا لنا خاصة؟ قال: «هذا لكم، ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة». فقال عمر بن الخطاب: كثر خيرُ الله وطاب. [صحيح الترغيب رقم: ١٥١١].

وما هي إلا بضعة أيام بعدها حتى تقوض في الحج خيامُهُ، وتنتهي أيامه، ويولي الحجاج وجوههم شطر أوطانهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه ماذا بعد الحج؟ وماذا بعد أداء هذه الفريضة العظيمة؟ هل يقف الأمر عند هذا الحدّ، ويعودُ الناسُ إلى ما كانوا عليه قبل الحج، أو أنَّ هناك سبيلاً قويمًا يجب على الحاج أن يسلكه بعد حجّه؟ هل تغيَّر المنهجُ والسلوك، ونظر كلُ حاج في حياته نظرة صحيحة، وبدأ صفحةً جديدة، وانطلاقةً جادةً على ضوء شريعة الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم؟ هل غيَّرَ الحجاجُ حياتهم من سيئ إلى حسنٍ، ومن حَسَنٍ إلى





أحسن؟ هل امتدت منافع الحج وآثاره فتجاوزت حد المكان والزمان إلى عموم الأزمنة والأمكنة، وشمول جميع الجوانب والنواحي؟!

إن الحج ميلاد جديد، وعهد سعيد، يجب على الحاج أن يثبت على آثاره ومنافعه، وعنها لا يحيد، وأن يجعله انطلاقة جادة للأعمال الصالحة، وفرصة عظيمة للتوبة النصوح، فعلينا أن نحاسب أنفسنا بعد أداء هذه الفريضة: هل أدت هذه الفريضةُ آثارها في حياتنا، أو أنها مرَّت كسحابة صيف أو وَمْضة برق، سرعان ما تزول دون نفع أو أثر؟!

إنَّ من الواجب أن تقوم حياتنا بعد هذه الفريضة على نهج الكتاب والسنة، وأن ترى آثارُ العبادات على سلوكنا وحياتنا، فإن ذلك من مقاييس قبول العمل أو ردِّه، فإنَّ من علامة قبول الحسنة: الحسنةَ بعدها، وإن مَن الخطأ الفادح وقلة البصيرة في فهم شعائر الإسلام: أن يظنَّ أناس - وبئس ما ظنوا - أنَّ مواسمَ العبادةُ مراحلُ ضيِّقةٌ يتخففُ فيها الإنسانُ من الذنوب والمعاصي، فإذا تجاوزها، عادَ ليواقع غيرها، وتنتهي فترةُ إقباله على الله بانتهاء العبادة.

إن مواسم الخير تغيرٌ كاملٌ، وتبدلٌ شاملٌ، في كل جليل وصغير، من حياة الغفلة عن الله إلى التوبة والاستقامة، والانقياد لله.

فيا من أجبتم نداء ربكم، ورفعتم التلبية إجابة لأمره، ها هو مولاكم - جل وعلا - يناديكم بنداء الإيمان: أن تستقيموا على شرعه، وتستجيبوا له ولرسوله، وتتقوه حق تقاته، وتعبدوه حق عبادته، في حياتكم إلى مماتكم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾» [الأنفال:٢٤].

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾» [آل عمران:١٠٢]



فلبُّوا - عباد الله - نداء الرحمن، واستجيبوا لأمره في كلِّ حياتكم وفي كل شئونكم.

وإلا بأي حجٍّ رجع من دنَّس العقيدة بضروب الإشراك، ولوَّثها بألوان البدع والمحدثات؟ بأي حجٍّ رجع من هدم دينه بترك عموده وهو الصلاة؟ بأي حج رجع من أصر على ما يتعاطى من محرمات، فلم يمنعه حجه عما كان يقترف من ربًا أو تعاطٍ للمسكرات والمخدرات، أو تعامل بالغش والتزوير وسيئ المعاملات، أو وقوع في القطيعة والعقوق وسافل الأخلاق والصفات؟!

اللهم نسألك التوفيق لكل خير والمزيد من كل بر، وأوزعنا اللهم شكر نعمتك، ووفقنا لعمل صالح ترضاه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين. آمين.

# واحة التوحيد

## من نور كتاب الله

### مكة أول بيوت الله

« إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ »

[آل عمران: ٩٦- ٩٧]

## من هدي رسول الله ﷺ

### في المناسك اتباع سنَّته

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة وهو على بعيره وهو يقول: يا أيها الناس! خذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا»

[سنن النسائي ٣٠٦٢ وصححه الألباني]

### أخلص النية لله في الحج

عن أنس رضي الله عنه قال: حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث، وقطيفة تساوي أو لا تساوي أربعة دراهم، ثم قال: اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة.

[صحيح الترغيب للألباني ١١٢٢].

### فضل العشر الأول من ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (ما العمل في الأيام العشر أفضل من العمل في هذه). قالوا: ولا الجهاد؟ قال: (ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء)

[أخرجة البخارى وبوب له «فضل العمل في أيام التشريق»]

### الوقوف بعرفة عتق من النار

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا أو أمة من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ماذا أراد هؤلاء؟»

[أخرجه مسلم]

### حكم ومواعظ

عن سفيان بن عيينة قال: قيل لمحمد بن المنكدر: أي العمل أحب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن.
وقال سفيان: إن من توقير الصلاة أن تأتي قبل الإقامة.

[صفة الصفوة]

إعداد/ علاء خضر

## من الخير التعجل بالحج

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من أراد الحج فليعجل»

[حسنه الألباني في المشكاة ٢٤٥٧].

وفي رواية قال ﷺ: «تعجلوا إلى الحج؛ فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له»

[حسنه الألباني في إرواء الغليل ٩٩٠].

## رفع الصوت عند التلبية

عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أتاني جبريل فقال لي: إن الله يأمرك أن تأمر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج».

[السلسلة الصحيحة للألباني ٨٣٠].

## من آداب الطواف

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الطواف حول البيت مثل الصلاة، إلا أنكم تتكلمون فيه، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير»

[الترمذي ٩٦٠ وصححه الألباني].

## فضل الصلاة في المسجد الحرام

عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»

[مسند أحمد وصححه الألباني]

## احذر أخي الحاج

اعتقاد بعض الناس أن حجه يكون ناقصا إذا لم يزر قبر النبي ﷺ، ويقف عنده، ويدعو ويستشفع به. والصحيح فعل الصحابة، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا دخل المسجد النبوي قال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت، ثم ينصرف

## دعاء يوم عرفة

عن طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له» [الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع ١١٠٢].

# الأدب مع الصحابة

الحلقة الثانية

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، وبعدُ:

فقد تقدم في اللقاء السابق الحديث عن تعريف الصحابي، وبيّنا أنه من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنًا به، ومات على الإسلام، ثم تحدثنا عن فضل الصحابة وبينا أنهم أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام، وأنهم نوع فريد من الرجال لم تعرف البشرية لهم نظيرًا في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن.

وفي هذا اللقاء نكمل مستعينين بالله فنقول:

## ثالثًا: فضل الصحابة على سائر أصحاب الأنبياء:

إن عوامل الخير التي تجمعت في الصحابة رضوان الله عليهم، لم تجتمع في جيل قبله أو جيل بعده، ولهذا فأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم خير جيل عرفته البشرية كلها، وهم خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، فتحقق فيهم ما لم يتحقق في غيرهم من بدء الخليقة إلى قيام الساعة، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن الله اختار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم له، ولا أعلم نبيًا من أنبياء الله تعالى، بُورك له في أصحابه كما بورك لنبينا صلى الله عليه وسلم.

وهذا موقف عروة بن مسعود الثقفي في يوم الحديبية الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «فإني والله لا أرى وجوهًا، وإني لأرى أشوابًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: امْصُصْ بَظْرَ اللات - وهذه مبالغة من الصديق في سبّ عروة، وحمله على ذلك، ما أغضبه به من نسبته المسلمين إلى الفرار - أنحنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدعُهُ؟ فقال: مَن ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يدٌ كانت لك عندي لم أجْزِكَ بها لأجبتك، قال: وجعل يُكلمُ النبي صلى الله عليه وسلم، فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم، والمغيرةُ بنُ شعبة قائمٌ على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفرُ، فكلما أهوى عروةُ بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم، ضرب يده بنعل السيف، وقال له: أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا؟ قال: المغيرة بن شعبة، ثم إن عروة جعل يَرْمُقُ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نُخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحُدّون إليه النظر تعظيمًا له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إنْ رأيتُ ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يُعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدًا، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده،

وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له». [البخاري ٢٧٣١].

فقارن بين هذه الصورة المشرقة، وبين ما قاله أصحاب موسى عليه السلام؛ إذ قالوا: «قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾» [المائدة:٢٤]، وقولهم أيضا: «وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾» [البقرة:٥٥].

وهؤلاء الذين سألوا موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة كانوا خيار بني إسرائيل كما قال الله عز وجل: «وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾» [الأعراف:١٥٥]، ولم يقل واختار موسى من قومه، فدلنا ذلك على أن هؤلاء السبعين هم أفضل بني إسرائيل مطلقًا، وأنه لم يكد يخلف بعده فاضلا، ومع هذا فلما جاءوا ميقات ربهم قالوا ما قالوا، فأخذتهم الرجفة، حتى قال موسى لربه عز وجل: «وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾» [الأعراف:١٥٥]، فسماهم مع فضلهم سفهاء، فما بالك بمن تركهم خلفه؟!

أما أصحاب عيسى عليه السلام، فحسبك سؤال المائدة لتعرف مدى توقيرهم لله عز وجل ولرسولهم عليه السلام، وهؤلاء هم تلاميذ المسيح - الحواريون - فما بالك بغيرهم: «إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾» [المائدة:١١٢، ١١٣].

أما أصحاب نبينا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلا تجد لهم نظيرًا أبدًا.

فعندما لاقوا عدوهم على غير ميعاد وغير استعداد، فوقف فيهم النبي صلى الله عليه وسلم خطيبًا وقال لهم: «أشيروا عليَّ أيها الناس». فقام الصديق رضي الله عنه فقال وأحسن القول، ثم قام عمر رضي الله عنه وأحسن القول، ثم المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾» [المائدة:٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك دونه حتى تبلغه، ثم قام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل». قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.

فسُر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «سيروا، وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم» [البداية والنهاية ٣/٢٦١].

إنهم جيل نصر، وثلة خير، وأئمة هدى

ودعــــوة، وشـتــان شتان بين أئمة الهدى وطلاب الدنيا.

ويـكـفـي كـذلـك أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قد نقلوا عنه كل شيء استطاعوا الوقوف عليه، حتى صار الأمر كما قال أبو ذر رضي الله عنه: «ما من طائر يقلب جناحيه في السماء إلا وعندنا منه علم عن النبي صلى الله عليه وسلم»، فيسهل على طالب الحق أن يجد في كل باب علمًا يتأسى به، بخلاف سائر الأنبياء، فلا تكاد تعرف عنهم شيئًا، فيما يتعلق بحياتهم، حاشا الدعوة، إلا الكلمة بعد الكلمة، وهي أيضًا عن طريق نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم.

ويكفي في إثبات أفضلية أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم أفضل من سائر صحابة النبيين والمرسلين قول الله تعالى: « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)» [آل عمران:١١٠]، وكذلك جعلهم الله شهداء على كل البشرية، فقال: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣)» [البقرة:١٤٣].

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة». [متفق عليه].

وقــال رســـول الــلــه صـلـى الـلـه عـلـيـه وسـلـم: «أنـتـم شـهـداء الـلـه في الأرض والملائكة شهداء الله في السماء». [الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١٤٩٠]، ولا شك أن الصحابة رضوان الله عليهم أولى الناس بكل فضل ثبت لهذه الأمة؛ لأنهم المشافهون بذلك، مع ما اختصوا به من مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم، والأخذ عنه.

وقد هدى الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات والهدى هداية جلت عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين حتى حصل لأمته المؤمنين به عمومًا، ولأصحابه منهم خصوصًا من العلم النافع والعمل الصالح والأجر العظيم شيء عظيم لا مثيل له.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مثلكم ومثل أهل الكتابين، كمثل رجل استأجر أجراء، فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهودُ، ثم قال: مَن يَعْمَل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فَعَمِلَتْ النصارى، ثم قال: «مَن يعمل لي من العصر إلى أن تغيبَ الشمسُ على قيراطين؟ فأنتم هم، فغضبتِ اليهودُ والنصارى، فقالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقل أجرًا؟! قال: «هل نقصتكم من حقكم؟».

قالوا: لا، قال: «فذلك فضلي أوتيه من أشاءُ» [متفق عليه].

وقد زكاهم الله جل وعلا، فقال في حق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣)» [الأحزاب:٢٣]، وقال عز وجل: « لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)» [المجادلة:٢٢]، وقال تبارك اسمه: « لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ

تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾» [الفتح:١٨].

وقال عز من قائل: «لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾» [الحشر:٨، ٩].

وقال سبحانه: «لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾» [سورة التوبة:٨٨، ٨٩].

وقال سبحانه وتعالى: «وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾» [سورة التوبة:١٠٠].

وقال عز وجل في حقهم: «لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾» [سورة التوبة:١١٧].

وقال تبارك اسمه: «ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾» [آل عمران:١٧٢- ١٧٤].

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: مُرَّ بجنازة فأثني عليها خيرًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وجبت، وجبت، وجبت». ومُرَّ بجنازة فأثني عليها شرًا، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «وجبت، وجبت، وجبت». قال عمر: فدى لك أبي وأمي، مُر بجنازة فأثني عليها خيرًا، فقلت: «وجبت، وجبت، وجبت»، ومُر بجنازة فأثنى عليها شرًا، فقلت: «وجبت، وجبت، وجبت؟» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض» [متفق عليه].

وعليه فيعتقد أهل السنة أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الأمم أجمعين، وأفضلهم أهل القرن الذين شاهدوه، وآمنوا به، وصدّقوه وبايعوه، وتابعوه، وقاتلوا بين يديه، وفدوه بأنفسهم وأموالهم، وعزروه ونصروه، وأفضلهم أهل الحديبية الذين بايعوه بيعة الرضوان، وأفضلهم أهل بدر، وأفضلهم العشرة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وأبو عبيدة بن الجراح، وأفضل هؤلاء العشرة الأبرار الخلفاء الراشدون الأربعة الأخيار: أبو بكر، وعمر، وعثمان، ثم علي، رضي الله عنهم أجمعين، وأفضل هؤلاء بل أفضل الأولين والآخرين بعد الأنبياء والمرسلين: أبو بكر، وعمر.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين». وفي رواية لابن ماجه: «... إلا النبيين والمرسلين». [الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

باب الاقتصاد الإسلامي

# الرد على الذين أباحوا فوائد البنوك

## الحلقة الثانية

إعداد: د/ علي أحمد السالوس

أستاذ فخري في المعاملات المالية والاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعدُ:

فما يزال الحديث متصلاً في الرد على من أباحوا فوائد البنوك، وقد نشرت الأهرام منذ مدة كلمة تحت عنوان «حكم الشرع في فوائد القروض والودائع المصرفية» لكاتب يدعى: الدكتور جمال موسى بدر، قيل: إنه أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة نيويورك.

قال الكاتب: «إني اتفق مع فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر كل الاتفاق في الرأي الذي قال به، وإن كنت أقترح تبريرًا آخر للوصول إلى النتيجة نفسها».

ثم قال الكاتب بعد هذا: «أرى أن هناك منحى آخر أقرب منالاً، وأقوى حجة للوصول إلى الرأي نفسه، ذلك أن القاعدة في الفقه الإسلامي أن الأحكام المانعة التي تقضي بالتحريم لا يتوسع في تفسيرها، ولا يجوز سحبها على ما لم يرد به النص، ومن ثَم فإن الحديث الشريف الذي يحرم أي زيادة في تبادل الذهب بالذهب أو الفضة بالفضة لا يجوز أن نعتبره منطبقًا على نقود من غير هذين المعدنين». اهـ.

وللرد على هذا الكاتب نقول: قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣] فيه النص على تحريم قول كلمة «أف» للوالدين، أفيقف الحكم عندها؟ ألا يجوز سحبها على الضرب الذي لم يرد به النص؟ أو أي لون من ألوان الإيذاء؟

فمن أين جاء الكاتب إذن بهذه القاعدة؟ أما الحديث الشريف الذي أشار إليه فهو حديث الأصناف الستة المشهور: روى مسلم في صحيحه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح مثلاً بمثل، سواء بسواء، يدًا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد» [مسلم ١٥٨٧].

قال ابن رشد في بداية المجتهد (١٢٩/٢): «اختلفوا فيما سوى هذه الستة المنصوص عليها، فقال قوم منهم أهل الظاهر: إنما يمتنع التفاضل في صنف من هذه الأصناف الستة: فهؤلاء جعلوا النهي المتعلق بأعيان هذه الستة من باب الخاص أريد به الخاص، وأما الجمهور من فقهاء الأمصار فإنهم اتفقوا على أنه من باب الخاص أريد به العام...» إلخ.

وجمهور الفقهاء إذن لا يجعلون حكم التحريم يقف عند الأصناف الستة - وإن اختلفوا فيما يلحق بها - وهنا أمر مهم وضروري وهو أن الاختلاف هنا إنما هو

في البيع لا في القروض، أما القروض فلها حكم آخر أجمعت عليه الأمة، وبيناه من قبل، وسيأتي مرة أخرى، ونذكر رأي أهل الظاهر الذين خالفوا الجمهور في حكم البيع.

ولو أمكننا هنا لتحدثنا عن المنطوق والمفهوم، وبينا المراد بمفهوم الموافقة، ومفهوم المخالفة، وأيهما ينطبق على النقود الورقية.

وهذا الموضوع تناولته بالتفصيل في كتاب النقود واستبدال العملات، دراسة وحوارًا، وأثبت بالأدلة المختلفة أن أحكام النقود لا تقف عند نقود عصر التشريع، بل هي باقية ما بقيت النقود.

وبعد أن قدم الكاتب هذه القاعدة غير الصحيحة انتقل إلى ما هو أبعد من هذا، حيث قال: ولهذا فرّق الفقهاء بين النقود بالخلقة، وهي الذهب والفضة فقط، وبين النقود بالاصطلاح، وهي ما عدا ذلك.

ولما ظهرت في بلاد الإسلام العملات المسكوكة من المعادن الخسيسة كالنحاس أو البرونز، أجمع الفقهاء على أن حكم الربا لا يسري عليها، فأجازوا مثلاً أن يقرض زيد عمرًا ألف قطعة نقدية من النحاس مشترطا عليه أن يردها ألفًا ومائتي قطعة، ولم يقل أحد من الفقهاء القدامى من مختلف المذاهب أن المائتي قطعة الزائدة تعتبر من قبيل الربا.

ولما كانت النقود الورقية هي المثل البارز بالاصطلاح، فإن القاعدة التي طبقها القدامى على غيرها من النقود بالاصطلاح تنطبق على النقود الورقية من باب أولى وأحرى، ولذلك لا تكون الفوائد في عصرنا من قبيل الربا. اهـ.

قلت: هذا هو المنهج الذي رأى الكاتب أنه أقرب منالاً وأقوى حجية للوصول إلى أن الفائدة ليست من الربا المحرم، وللأسف الشديد أن هذا منهج لا يعتمد على أصل صحيح أو قول صادق.

انظر مثلا قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الدرهم والدينار فما يعرف له حد طبعي ولا شرعي، بل مرجعه إلى العادة والاصطلاح؛ وذلك لأنه في الأصل لا يتعلق المقصود به، بل الغرض أن يكون معيارًا لما يتعاملون به، والدراهم والدنانير لا تقصد بنفسها، بل هي وسيلة إلى التعامل بها، والوسيلة المحضة التي لا يتعلق بها غرض لا بمادتها ولا بصورتها يحصل بها المقصود كيفما كانت». [انظر: مجموع الفتاوى، ج٢٩، ص٢٥١].

واقرأ معي ما جاء في المدونة الكبرى للإمام مالك (٣/٣٩٥-٣٩٦):

قلت: أرأيت إن اشتريت فلوسًا بدرهم فافترقنا قبل أن نتقابض؟ قال: لا يصلح هذا في قول مالك، وهذا فاسد.

قال لي مالك في الفلوس: لا خير فيها نَظِرةً - أي آجلاً - بالذهب وبالورق، ولو أن الناس أجازوا بينهم الجلود حتى تكون لها سكة وعين لكرهتها أن تباع بالذهب والورق نظرة.

قلت: أرأيت إن اشتريت خاتم فضة أو خاتم ذهب أو تبر ذهب بفلوس، فافترقنا قبل أن نتقابض، أيجوز هذا في قول مالك؟

قال: لا يجوز هذا في قول مالك؛ لأن مالكًا قال: لا يجوز فلس بفلسين، ولا تجوز الفلوس بالذهب والفضة ولا بالدنانير نظرة.

قال ابن وهب: عن يونس بن يزيد عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال: الفلوس بالفلوس بينهما فضل فهو لا يصلح في عاجل لآجل، ولا عاجل بعاجل، ولا يصلح بعض ذلك ببعض إلا هاء وهاء.

قال ابن وهب: قال: الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد وربيعة أنهما كرها الفلوس بالفلوس بينهما فضل أو نظرة، وقال: إنها صارت سكة مثل سكة الدنانير والدراهم.

قال ابن وهب: عن الليث، عن يزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر قال: وشيوخنا كلهم أنهم كانوا يكرهون صرف الفلوس بالدنانير والدراهم إلا يدًا بيد.



قال ابن وهب: قال يحيى بن أيوب، قال يحيى بن سعيد: إذا صرفت درهمًا فلوسًا فلا تفارقه حتى تأخذها كلها». اهـ.

ومع هذا نأتي مثلاً إلى الحنفية القائلين بخلقة النقدين، فنراهم في الفلوس الرائجة - وهي العملة النحاسية - يحرمون بيع فلس بفلسين، ويقولون: «لأن الفلوس الرائجة أمثال متساوية قطعًا لاصطلاح الناس على إهدار قيمة الجودة منها، فيكون أحد الفلسين فضلاً خاليًا عن العوض مشروطًا في العقد وهو الربا». [انظر العناية على الهداية ومثله في شرح فتح القدير ١٦٢/٦].

ومن الفقهاء من أجاز بيع الفلس بالفلسين إذا كانت الفلوس غير رائجة، أي تباع باعتبارها قطعًا من النحاس وليست نقودًا، ولا نريد أن نقف هنا؛ لأن الخلاف في حكم البيع وليس هذا موضوع البحث، وإنما البحث يتعلق بالقرض، وهو موضوع إجماع بلا خلاف كما سنبين لا كما ذكر الكاتب.

ومع ما ذكره الكاتب من أن الفقهاء أجمعوا على جواز اشتراط المقرض على المقترض أن يرد مقدارًا زائدًا على القرض ما دام هذا من النقود غير الذهبية أو الفضية، وأن الفقهاء القدامى من مختلف المذاهب لم يقل أحد منهم: إن هذه الزيادة المشروطة تعتبر من قبيل الربا؛ هذا القول بعيد كل البعد عن الفقه، ويكفي لنقضه ما نقلته آنفًا من المدونة الكبرى وفتح القدير.

وقد نص الحنفية على أن الربا من الزيادة، ويزيد هذا تأكيدًا النصوص التالية:

قال الإمام مالك في المدونة (٢٥/٤): «كل شيء أعطيته إلى أجل فرد إليك مثله وزيادة فهو: ربا».

وقال الدردير في الشرح الصغير مع بلغة السالك (٢٣/٢): «وإن بطلت معاملة من دنانير أو دراهم أو فلوس ترتبت لشخص على غيره من قرض أو بيع، وتغير التعامل بها زيادة أو نقصًا، فالواجب قضاء المثل على من ترتبت في ذمته إن كانت موجودة في بلد المعاملة».

وقال أيضًا (١٠٦/٢): «ورد المقترض مثله قدرًا وصفة أو رد عينه إذا لم يتغير في ذاته عنده».

وقال ابن رشد الجد في مقدماته (ص٥٠٧): «وأما الربا في النسيئة فيكون في الصنف الواحد وفي الصنفين، أما في الصنف الواحد فهو كل شيء من جميع الأشياء، لا يجوز واحد باثنين من صفته إلى أجل من جميع الأشياء».

وقال الإمام الشافعي في كتاب الأم (٢٨/٣): «ومن سلف فلوسًا أو دراهم أو باع بها، ثم أبطلها السلطان ليس له إلا مثل فلوسه أو دراهمه التي أسلف أو باع بها».



وقال الشيرازي في المهذب: «ويجب على المستقرض رد المثل فيما له مثل؛ لأن مقتضى القرض رد المثل». [المجموع شرح المهذب ١٨٥/١٢].

وقال النووي في روضة الطالبين (٣٧/٤): «ولو أقرضه نقدًا فأبطل السلطان المعاملة به، فليس له إلا النقد الذي أقرضه».

وقال ابن قدامة في المغني (٣٦٤/٤): «المستقرض يرد المثل في المثليات، سواء رخص سعره أو غلا، أو كان بحاله».

وفي مجلة الأحكام الشرعية في الفقه الحنبلي جاء في المادة (٧٥٠): «إذا كان القرض فلوسًا، أو دراهم مكسرة، أو أوراقًا نقدية فغلت أو رخصت أو كسدت، ولم تحرم المعاملة بها، وجب رد مثلها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يجب في القرض إلا رد المثل بلا زيادة». وقال: «ليس له أن يشترط الزيادة عليه في جميع الأموال باتفاق العلماء، والمقرض يستحق مثل قرضه في صفته». [مجموع الفتاوى: ٣٥٣/٢٩].

وأهل الظاهر الذين وقفوا عند الأصناف

الستة في البيع لم يخرجوا على الإجماع في القرض.

قال ابن حزم في المحلى (٤٦٢/٨): «ولا يجوز في القرض إلا رد مثل ما اقترضه لا من سوى نوعه أصلاً». وقال في موضع آخر (٥٠٩/٩): «والربا لا يجوز في البيع والسلم إلا في ستة أشياء فقط: في التمر والقمح والشعير والملح والذهب والفضة، وهو في القرض في كل شيء، فلا يحل إقراض شيء ليرد إليك أقل، ولا أكثر، ولا من نوع آخر أصلاً، لكن مثل ما أقرضت في نوعه ومقداره؛ على ما ذكرنا في كتاب القرض من ديواننا هذا، فأغنى عن إعادته، وهذا إجماع مقطوع به».

هذا كلام الفقهاء السابقين، وهذا إجماعهم الذي يحكيه ابن تيمية وابن حزم:

فالزيادة المشروطة محرمة في القرض في كل شيء؛ أي لا يشترط أن يكون من الأصناف الستة أو ما يلحق بها.

وفي مناقشتي السابقة للدكتور النمر بينت أن الزيادة المشروطة على القرض محرمة بالكتاب والسنة والإجماع، وأن هذا من المعلوم من الدين بالضرورة، فكيف يأتي هذا الكاتب لينسب للفقهاء خلاف ما ثبت عنهم، ويقول بأنهم أجمعوا على حل ما علم تحريمه من الدين بالضرورة؟!

وينتقل الكاتب - من تقوله على الفقهاء ما سبق - ليقول بأن ما طبقوه على النقود الاصطلاحية ينطبق على النقود الورقية، لذلك لا تكون الفوائد في عصرنا هذا من قبيل الربا المحرم. وقد رأينا إجماعهم على أن الزيادة المشروطة في القرض من غير الذهب والفضة- بل في كل شيء- تعتبر من الربا المحرم، والنتيجة تكون حتمًا عكس ما انتهى إليه هذا الكاتب.

وأضيف إلى إجماع السابقين ما انتهت إليه كل المجامع الفقهية من أن النقود الورقية نقد قائم بذاته له ما للذهب والفضة من الأحكام، وما جاء بأقوال هذا الكاتب من أن القرض يرد بقيمته الحقيقية لا بقيمته العددية، وأن الدنانير الذهبية والدراهم الفضية في القرض كانت ترد بالوزن لا بالعدد نتيجة التآكل أو نقص الوزن، فيمكن أن يقرض مائة ويأخذ مائة وخمسين، ولم يقل أحد من الفقهاء السابقين: إن الخمسين الزائدة تعتبر من الربا المحرم.

قلت: يكفي للرد ذكر بعض ما جاء في كتب الفقه حسبما سبقت الإشارة إليها، وقد ذكرت من قبل قول الدردير: «ورد المقترض على المقرض مثله قدرًا وصفة».

وقال الصاوي في شرحه لقول الدردير: «فالواجب قضاء المثل، أي لو كان مائة بدرهم ثم ألفًا بدرهم أو بالعكس، وكذا لو كان الريال حين العقد بتسعين، ثم صارت بمائة وسبعين وبالعكس، وكذا إذا كان حين العقد بمائة وعشرين ثم صار بمائتين أو بالعكس وهكذا». [بلغة السالك ٢٣/٢].

وجاء في المدونة (٥٣/٨): «قلت: أرأيت إن أتيت إلى رجل فقلت له: سلفني درهم فلوس ففعل، وفلوس يومئذ مائة فلس بدرهم، ثم حالت الفلوس ورخصت حتى صارت مائتا فلس بدرهم؟ قال - أي الإمام: إنما يرد مثل ما أخذ.. فأشبه الحنطة إن رخصت أو غلت».

وقال ابن قدامة في المغني (٣٥٦/٤): «وإن كانت الدراهم يتعامل بها عددًا فاستقرض عددًا رد عددًا، وإن استقرض وزنًا رد وزنًا».

وقال في موضع آخر (٣٦٤/٤- ٣٦٥): «ولو أقرضه تسعين دينارًا بمائة عددًا والوزن واحد، وكانت لا تنفق في مكان إلا بالوزن، جاز، وإن كانت تنفق برؤوسها فلا، وذلك لأنها إذا كانت تنفق في مكان برؤوسها كان ذلك زيادة؛ لأن التسعين من المائة تقوم مقام التسعين التي أقرضه إياها، ويستفضل عشرة، ولا يجوز اشتراط الزيادة، وإذا كانت لا تنفق إلا بالوزن فلا زيادة فيها وإن كثر عددها».

ثم قال بعد هذا: «المستقرض يرد المثل من المثليات، سواء رخص سعره أو غلا أو كان بحاله، وأما رخص السعر فلا يمنع ردها سواء كان كثيرًا مثل - إن كانت عشرة بدانق فصارت عشرين بدانق - أو قليلاً؛ لأنه لم يحدث فيها شيء، إنما تغير السعر فأشبه الحنطة إن رخصت أو غلت».

وللحديث بقية إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين.

شبهات حول الصحابة

# موقعة الجمل

## الحلقة الثانية



إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعدُ:

ففي هذا المقال نبين مناقب صحابة النبي صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا موقعة الجمل حتى يلزم الطاعنون فيهم غرزهم، ويعلموا قدرهم، ويكفُّوا ألسنتهم عما حدث بينهم من خلاف، فاجتهادهم مأجور، وخطاهم مغفور بحسناتهم الماحية، وسبقهم، وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونبدأ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ لمكانتها، ومنزلتها، وعلو شأنها:

### أولاً: مناقب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

عائشة أم المؤمنين هي الصدِّيقة بنت الصدِّيق، وُلدت بعد بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع سنوات، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست سنين، ودخل بها وهي بنت تسع، وهي المبرأة من فوق سبع سموات، أحب نساء النبي صلى الله عليه وسلم إليه، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وهي أفقه نساء الأمة على الإطلاق، فكبار الصحابة كانوا يرجعون إليها إذا أشكل عليهم أمر، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي في الثامنة عشرة من عمرها وتوفيت عام ٥٨ هـ عن ٦٦ سنة وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه ودُفنت بالبقيع، وإليك أخي شيئًا من فضائلها رضي الله عنها:

١- جاء المَلَك بصورتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قطعة من حرير قبل زواجه بها، فقد روى الشيخان من حديث عائشة، قالت: قال صلى الله عليه وسلم: «أريتك في المنام ثلاث ليال، جاءني بك الملك في سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك، فإذا أنت هي، فأقول: إن يك هذا من الله يمضه». [مسلم: ٢٤٣٨].

٢- أحب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إليه، وقد صرح بمحبتها لمّا سئل عن أحب الناس إليه، ففي البخاري عن عمرو بن العاص

رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل -هو العذب الصافي من الماء-، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت: فمن الرجال؟ قال: أبوها. [أخرجه البخاري].

قال الذهبي: هذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيبًا، وقد قال: «لو كنت متخذًا خليلاً من هذه الأمة، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام أفضل»، فأحب أفضل رجل في أمته، وأفضل امرأة في أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حري أن يكون بغيضًا إلى الله ورسوله، وحبه صلى الله عليه وسلم لعائشة كان أمرًا مستفيضًا. [سير أعلام النبلاء: ٤٣/٢].

٣- أن جبريل أرسل إليها سلامه مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يومًا: «يا عائشة، هذا جبريل يقرئك السلام، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته». [البخاري: ٣٧٦٨].

٤- نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في لحافها، فقد روى البخاري عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمُري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان، أو حيث ما دار، قالت: فذكرتْ ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليّ ذكرت له ذلك، فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له، فقال: «يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها». [متفق عليه] قال الحافظ الذهبي: وهذا الجواب منه صلى الله عليه وسلم دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي. [سير أعلام النبلاء: ١٤٣/٢].

٥- بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بتخييرها عند نزول آية التخيير، فقد روى الشيخان عن عائشة أنها قالت: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال: «إني ذاكر لك أمرًا، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: قال الله عز وجل: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾» [الأحزاب:٢٨، ٢٩]، قالت: فقلت: ففي هذا أستأمر أبوي؟! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. [متفق عليه].

٦- نزل قرآن بشأنها خاصة، وهذا يدل على عظم شأنها، ورفعة مكانتها، وهو قوله سبحانه: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾» [النور:١١]، قال ابن القيم: «ومن خصائصها أن الله سبحانه برّأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل في عذرها وبراءتها وحيًا يُتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة، والرزق الكريم، وأخبر سبحانه أن ما قيل لها من الإفك كان خيرًا لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شرًا، ولا عائبًا من شانها، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها، وأعظم شأنها، وصار لها ذكرًا بالطيب والبراءة من أهل الأرض والسماء، فيا لها من منقبة ما أجلها!!». [جِلاء الأفهام: ١٢٤، ١٢٧].

قال الحافظ ابن كثير: ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان غار الله، فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تتلى على مر الزمان، وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها. [البداية والنهاية ٩٥/٨].

٧- نزول قرآن بسببها خاصة، وكان للأمة عامة، ونقصد بذلك آية التيمم التي كانت رفعًا للحرج عن الأمة، وتسهيلاً عليها في حكم الطهارة للصلاة، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها استعارت من أختها أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسًا من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي

صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم، فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيرًا، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيرًا.

٨- حرص النبي صلى الله عليه وسلم أن يُمَرَّض في بيتها:

ومات ﷺ بين سحرها ونحرها، وفي يومها، ودُفن في حجرتها، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان في مرضه جعل يدور على نسائه ويقول: أين أنا غدًا؟ حرصًا على بيت عائشة، قالت: فلما كان يومي سكن، وعند مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسأل: أين أنا غدًا، أين أنا غدًا، يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه بأن يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، وجمع الله بين ريقها وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، حيث دخل أخوها عبد الرحمن بسواك يستن به، فنظر النبي إليه، فأخذته عائشة فقضمته ثم مضغته، وأعطته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به. [البخاري ٣٣٦].

٩- زَوْج رسول الله في الدنيا والآخرة:

فقد روى الحاكم في المستدرك من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة». قالت: بلى والله، قال: «فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة» [صححه الألباني في الصحيحة ٣٠١١]. وهذا من أعظم فضائل عائشة رضي الله عنها.

١٠- إخباره صلى الله عليه وسلم لها بأنها من أصحاب الجنة:

فعند الحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! من أزواجك في الجنة؟ قال: أما أنك منهن. قالت: فخيل إليَّ أن ذاك أنه لم يتزوج بكرًا غيري. [صححه الألباني في الصحيحة ١٣٣/٣]

والنبي صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا بتوقيف؛ حيث قطع لها بدخول الجنة.

ومع كل هذه النصوص فقد تعرضت رضي الله عنها للطعن والتجريح من قبل الروافض، حيث وضعوا النصوص الكاذبة في ذمّها، وأوّلوا الصحيح منها على غير مقصودها، من ذلك: زعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الفتنة تخرج من بيتها؛ حيث يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى جهة مسكن عائشة رضي الله عنها وقال: «ألا أن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان».

وهذا قلب للحقائق وتضليل للعامة، وتدليس على الأمة؛ حيث الرواية الصحيحة تخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار نحو بيت عائشة إلى جهة المشرق، ورواية سالم بن عبد الله تبين مراد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال سالم: يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم الكبيرة، سمعت أبي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الفتنة تجيء من هنا، وأومأ بيده نحو المشرق». [رواه مسلم كتاب الفتنة من المشرق ٢٢٢٩/٤].

بل إن رواية البخاري تدحض ما ذكره الروافض وتبين تدليسهم الفاضح، فعن أبي مسعود قال: أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده نحو اليمن، فقال: ألا إن الإيمان هاهنا، وإن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين (يقصد من تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم)، وعند أصول أذناب البقر، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر. [البخاري: ٣٣٠٢].

وهذا يبطل ادعاء الرافضة أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى بيت عائشة، فالنصوص تبين مراد النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك أيضًا فهمهم لقول عمار بن ياسر رضي الله عنه، «والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي». [البخاري: ٣٧٧٢].

وقول عمار رضي الله عنه لم يرد به ذمًا لعائشة أو انتقاصًا، وإنما أراد أن يبين مخالفتها للصواب في اجتهادها يوم الجمل، مع إقراره لها بالفضل والقدر، وليس كل مخالف مذمومًا، فقد يكون ناسيًا أو متأولًا يؤاخذ بمخالفته، بل إن في رواية عمار قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: «فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة». [الحاكم: ١٠/٤، وصححه الألباني]. ولكن القوم كشأنهم بتروا النص؛ ليدلسوا على الأمة، ويطعنوا في أم المؤمنين.

والعجب كل العجب في قولهم: إن الله في سورة التحريم ضرب مثلًا للكافرين بامرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام، وأراد عائشة وحفصة، فهل يفهم ذلك عاقل، أم أنه ذهاب العقل وعمى البصيرة؟!

وقد سبق أن بينا أن أم المؤمنين رضي الله عنها ما خرجت لقتال في موقعة الجمل، ولم تستبح قتال المسلمين، وإنما قالت: أردت أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبدًا. [راجع المغازي للزهري].

قال ابن تيمية رحمه الله: «إن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت للإصلاح بين المسلمين، وظنت أن خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى». [راجع المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض أصل الرفض والاعتزال ص٢٢٢، ٢٢٣].

وكانت رحمها الله إذا قرأت: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» [الأحزاب:٣٣]، تبكي حتى تبل خمارها. [راجع سير أعلام النبلاء ١٧٧/٢، وطبقات ابن سعد ٨١/٨].

أما قولهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها: «إنك تقاتلين عليًا وأنت له ظالمة»، فإن هذا النص لم يثبت في أي من كتب السنة، وليس له إسناد معروف، بل هو من كذب الرافضة المعروف. [راجع منهاج السنة ١٨٥/٢].

والصحيح أن عليًا رضي الله عنه بعد انتهاء القتال يوم الجمل ردَّ أم المؤمنين إلى مأمنها وهي مكرمة معززة؛ حيث يذكر عليّ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره أنه سيكون بينه وبين عائشة أمر، فقال علي للنبي صلى الله عليه وسلم: أشقاهم أنا يا رسول الله؟ قال: «لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها». [مسند أحمد: ٣٩٣/١].

أما موقف علي رضي الله عنه من أم المؤمنين عائشة يوم الإفك، فقد تورط كثير من الباحثين في ذلك الموقف؛ باعتمادهم على روايات الرافضة المكذوبة التي لفقوها ووضعوها، فإن عليًا لم يزد على قوله: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك. [البخاري: ٤٧٨٦].

قال النووي في شرح مسلم: «لم ينل عليّ من عائشة بأدنى كلمة يُفهم منها أنه قد عرّض بأخلاقها أو تناولها بسوء، فإنه مع قوله للنبي صلى الله عليه وسلم: لم يضيق الله عليك، إلا أنه عاد فقال للرسول صلى الله عليه وسلم: سل الجارية تصدقك، فدعاه للتحري قبل أن يفارقها، وأحسن بأم المؤمنين الظن، فقال: وسل الجارية تصدقك، إنما قال أهل الرفض: إن عائشة غضبت من ذلك القول، واتهمت عليًا ظلمًا بقتل عثمان، وخرجت عليه وألّبت عليه كثيرًا من المسلمين. فكل هذا إفك وافتراء، وقلب للحقائق، وتشغيب على أم المؤمنين، وزوج النبي الأمين صلى الله عليه وسلم.

أما شبهة بعض المستشرقين بشأن زواج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة مع صغر سنها، وما سار على دربهم بعض الكتاب، فالرد عليه من وجوه:

أولها: أن جبير بن مطعم بن عدي كان قد خطب عائشة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهل فعل ذلك إلا لعلمه أنها صالحة للزواج؟!

وثانيها: أن عمر رضي الله عنه عرض حفصة رضي الله عنها على الصدّيق الذي كان بينه وبين حفصة أكثر ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة من حيث الفارق العمري.

وثالثها: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تزوج ابنة عليّ رضي الله عنه، مع كبر الفارق العمري بينهما، وهذا يبين أن زواج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة كان هو حال المجتمع، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول من تزوج بجارية يكبرها.

وأخيرًا: لماذا لم يطعن اليهود والمنافقون والمشركون في ذلك الزواج، مع أنهم كانوا ينقبون عن شيء يقدحون به في خُلق النبي صلى الله عليه وسلم، بيد أن عقولهم لم تهدهم إلى ما ردده المستشرقون والحاقدون والحاسدون من أهل الكتاب، وما ذلك إلا لعمى البصيرة ومرض القلوب.

والله من وراء القصد.

# الهجر وضوابطه

## عقبات في طريق السعادة الأسرية

إعداد/ جمال عبد الرحمن



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد انتشر في هذه الأيام انتشارًا عظيمًا: كثرة المشاكل الأسريّة، خاصة بين الشباب حديث العهد بالزّواج، من كثرة حلفه بالطلاق، أو تحريمه امرأته على نفسه، وأحيانًا يبالغون - بجهل - في التحريم، فيجعلونه إلى يوم القيامة، كما يزعمون، ثم ما يلبثون أن يفيئوا ويندموا، ويبدأوا بالسؤال بعد فوات الأوان، وبعضهم يهجر زوجته أيامًا طويلة، ويكون الهجر خارج المنزل أو عند صديقه أو عند أمه أو أبيه، في الوقت الذي نهى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن هجر المرأة خارج بيتها، فقال صلى الله عليه وسلم: «ولا تهجر إلا في البيت» [أبو داود والبخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني]. أي المكان الذي تبيت فيه امرأته.

وإن معرفة أحكام الشريعة، والتفقه فيها، والالتزام بها تُحل به كل هذه المشاكل، فلا يظلم الإنسان نفسه ولا يظلم غيره.

### نظام الهجر والإيلاء فى الشريعة:

قال الله سبحانه وتعالى: «لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾» [البقرة:٢٢٦، ٢٢٧].

والإيلاء: أن يحلف الرجل ألا يطأ امرأته أكثر من أربعة أشهر فما دونها، فإن حلف على أربعة أشهر فأقل لم يكن مؤليًا، وكانت يمينًا محضة، وبهذا قال مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور.

فجعل الله سبحانه مهلة لمن يحلف ألا يأتي امرأته هي أربعة أشهر، لا يزيد عليها، فإن فاءوا ورجعوا ورغبوا في بقاء الزوجة والزوجية باستدامة النكاح، فإن الله تعالى لا يؤاخذهم بتلك اليمين، بل يغفر لهم ويرحمهم، وإن وقع العزم منهم على الطلاق وإنفاذه، فإن الله سميع عليم بذلك؛ فمن حلف ألا يطأ امرأته، ولم يقيد حلفه بمدة، أو قيّده بمدة أكثر من أربعة أشهر يُمْهَل أربعة أشهر، فإن مضت وانتهت فهو بالخيار، إما أن يرجع إلى نكاح امرأته، وهي زوجته بعد مضي المدة كما كانت زوجته قبلها، أو يطلقها، وكان له حكم المطلق لامرأته ابتداءً.

وأما إذا حلف ولم يحدد مدة، أو حدد أقل من أربعة أشهر؛ فإذا أراد أن يبرّ في يمينه، اعتزل امرأته المدة التي حلف فيها حتى تنقضي تلك المدة، كما فعل رسول الله

صلى الله عليه وسلم حين آلى من نسائه شهرًا، واعتزلهن حتى مضى الشهر، وإذا أراد أن يطأ امرأته قبل تلك المدة التي هي أقل من أربعة أشهر في يمينه، لزمته الكفارة؛ طبقا لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها، فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه». [مسلم ١٦٥٠].

## ماذا إذا حدث الطلاق؟

فإذا عزم الزوج على الطلاق، طلّق بحيث لا تكون امرأته حائضًا وقت إيقاع الطلاق، وعليه أن يتحمل كل نفقاتها، ومقدمها ومؤخرها من المهر المتفق عليه، ويعطيها كل ما لها من حقوق، وعلى المرأة حينئذ أن تنتظر ثلاثة قروء حتى تنتهي بثلاثة أطهار أو بثلاث حيضات، قال الله تعالى: «وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» [البقرة:٢٢٨] سواء أكان في بطنها حيضًا أو حملاً، فقد يطلق الرجل زوجته، ويأتي قبل آخر حيضة لإرجاعها، فتدعي الحيض لتفوّت عليه فرصة الارتجاع، وهي في الحقيقة ليست حائضًا، والعكس، وقد تدعي المرأة عدم الحمل، وهي حامل لتضيع على زوجها فرصة إرجاعها على أنها ستنتهي عدتها بالقروء، وربما تدعي الحمل وليست حاملاً لتوجب عليه النفقة بطول المدة، والمقصد عندها في ذلك الإضرار بالزوج، وهنا توعدها الله تعالى إذا كتمت ما في رحمها، وأن ذلك لا يحل لها؛ فلتتق الله تعالى.

فإذا انتهت عدة المرأة وبلغ الكتاب أجله، فالمرأة أحق بنفسها، ولا تحل لزوجها هذا إلا بنكاح جديد مستأنف بولي، وشهود، ومهر جديد، أما إذا راجعها في أثناء العدة فالرجعة تكون باللفظ، كأن يقول: «راجعتك» أو كلمة نحوها، وتكون الرجعة بالمعاشرة والوطء، قال الله تعالى: «وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا» [البقرة:٢٢٨] يعني إن أراد الزوج دوام العشرة الحسنة بينه وبينها، ولا يجوز له أن يرجعها ليضر بها بعد أن مكثت فترة من الزمن، ولذلك قال الله تعالى: «وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾» [البقرة:٢٣١]؛ لأن من فعل ذلك فقد ارتكب حرامًا وظلم نفسه.

وعلى الزوج أن يُحسن عِشرة زوجته بما هو معروف من عادة الناس أنهم يفعلونه لنسائهم، وهي كذلك تحسن عشرته بما هو معروف من عادة النساء أنهن يفعلنه لأزواجهن من طاعة وتزين وتحبب، ونحو ذلك، قال الله تعالى: «وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾» [البقرة:٢٢٨]، قال ابن عباس: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي؛ لأن الله تعالى قال: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ» [البقرة:٢٢٨]، وذلك في الوجوب لا في جنس العمل، فلو غسلت ثيابه أو خبزت له؛ لم يلزمه أن يفعل ذلك؛ ولكن يحسن إليها من جهة مهمته نحوها، فيطعمها مما طعم، ويكسوها مما اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح ولا يهجر إلا في البيت.

أما الدرجة التي للرجال على النساء فهي منزلة للرجل فوق زوجته، وهي قيامه عليها بالإنفاق، وكونه من أهل الجهاد والعقل والقوة والشهادة والدية وصلاحية الإمامة والقضاء، وله من الميراث أكثر مما لها، وكونها يجب عليها امتثال أمره، والوقوف عند رضاه، وله أن يتزوج عليها، ويتسرى يعني يتخذ ملك يمين من النساء حال وجودهن، وليس لها ذلك، وله الطلاق والرجعة وليس شيء من ذلك بيدها، ولو لم يكن من فضيلة الرجال على النساء إلا كونهن خلقن من الرجال -لما ثبت أن حواء خلقت من ضلع آدم- لكفى.

وقد أخرج أهل السنن عن عمرو بن الأحوص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا إن لكم على نسائكم حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا، أما حقكم على نسائكم: ألا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن». [الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٨٨٠].

وعن أبي ظبيان أن معاذ بن جبل رضي الله عنه خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم لبعض، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «لو أمرت أحدًا يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». [الترمذي، وأحمد، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١٩٣٩].

**ولكن من هم الذين لا يجوز للمرأة أن تدخلهم بيتها إلا بإذن زوجها؟**

كثير من الناس عندما يحدث شقاق بينه وبين امرأته يحاول منع أهلها من الدخول عنده عليها، سواء كان الممنوع أباها أو أمها أو إخوتها، أو سائر محارمها كخالها أو عمها، ومنهم من يمنع وصلهم لها بهدية أو بطعام أو شراب، فما هو الفاصل في ذلك تمشيًا مع الحديث؟

قال النووي رحمه الله: «لا يوطئن فرشكم من تكرهون» معناه: لا يأذنَّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون له رجلاً أجنبيًا أو امرأة، أو أحدا من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك. [تحفة الأحوذي: ٨/٣٨٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه». يعني لا يجعلن أحدًا يدخل عليهن على فراش النوم أو غيره، وأنت تكره أن يجلس على فراش بيتك، وكأن هذا - والعلم عند الله - ضرب مثل، والمعنى: ألا يكرمن أحدًا تكرهونه، هذا من المضادة لكم أن يكرمن من تكرهونه بإجلاسه على الفرش أو تقديم الطعام له، أو ما أشبه ذلك، وألا يأذن في بيوتكم: يعني لا يُدخلن أحدًا البيت وأنت تكره أن يدخل، حتى لو كانت أمها أو أباها، فلا يحل لها أن تدخل أمها أو أباها، أو أختها أو أخاها، أو عمها أو خالها أو عمتها أو خالتها إلى بيت زوجها إذا كان يكره ذلك، وإنما نبهت على هذا؛ لأن بعض النساء، والعياذ بالله تكون شرًا على بنتها، وإذا رأت أن زوجها يحبها أصابتها الغيرة والعياذ بالله مع أنها أم، ثم حاولت أن تفسد بين البنت وزوجها، فهذه الأم للزوج أن يقول لزوجته: لا تدخلي أمك بيتي، فله أن يمنعها شرعًا، وله أن يمنع زوجته من الذهاب إليها؛ ما دامت أمها نمامة تفسد، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة قتات». أي نمام. [شرح رياض الصالحين ٢/١٢٦].

وقال الخطابي معناه: لا يأذن لأحد من الرجال يدخل عليهن، فيتحدث إليهن، وكان الحديث من الرجال إلى النساء من عادات العرب، لا يرون ذلك عيبًا، ولا يعدونه ريبة، فلما نزلت آية الحجاب وصارت النساء مقصورات، نهي عن محادثتهن والقعود إليهن، وليس المراد بوطء الفرش هنا نفس الزنا؛ لأن ذلك محرم على الوجوه كلها، فلا معنى لاشتراط الكراهية فيه، ولو كان المراد الزنا لكان الضرب الواجب فيه هو المبرح الشديد، والعقوبة المؤلمة من الرجم دون الضرب الذي ليس بمبرح، ولما ورد في الحديث: «لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضربًا غير مبرح». انتهى. [معالم السنن ٢/٢٠٠].

وقال النووي: فالنهي يتناول جميع ذلك (أي الأجانب والمحارم لها)، وهذا حكم المسألة عند الفقهاء، أنها لا يحل لها أن تاذن لرجل أو امرأة، ولا محرم ولا غيره في دخول منزل الزوج، إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه؛ لأن تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن في ذلك منه، أو ممن أذن له في الإذن في ذلك، أو عُرف رضاه باطراد العرف بذلك ونحوه، ومتى حصل الشك في الرضا ولم يترجح شيء، ولا وُجدت قرينة لا يحل الدخول ولا الإذن. والله أعلم. [شرح النووي على صحيح مسلم ٨/١٣٨].

وقال ابن تيمية رحمه الله في شرح حديث جابر رضي الله عنه في حجة الوداع: «ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه» [أخرجه مسلم]. المراد بالفراش ما هو أعم من فراش النوم، فيدخل في ذلك فراش البيت، ودخل في ذلك ما كان وسيلة إليه كإدخال أحد بيت زوجها وهو يكرهه، سواء كان من أقاربها أو من الأباعد، فلا يحل للمرأة أن تدخل أحدًا بيت زوجها وهو لا يرضى بذلك. انتهى كلامه رحمه الله.

## تنبيه على الزوج:

إذا كان الشرع قد حكم على المرأة بأنها لا يحل لها أن تدخل على فراشها وفراش زوجها أحدًا يكرهه زوجها، فكيف يكون الأمر إذا كان الزوج كارهًا بدون وجه حق وهو متعسف في ذلك؟

والجواب: أن الشرع إذا كان قد أعطى الزوج سلطة، فينبغي له أن يمارسها بما يُرضي الله تعالى، وألا يكون متعسفًا ولا معنتًا ولا متعنتًا، وألا يكون سببًا في قطع الأرحام، والشرع الحكيم أعطاه هذا الحق في حالة ما إذا كانت المرأة جامحة أو متفلتة، وكذلك أهلها، وعلى الأخص والدتها، أما إذا كان الأمر مجرد خصومة يسيرة قابلة للصلح والإصلاح فليسعَ إلى الصلح، والصلح خير، والله تعالى يقول: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾» [الأنفال:١]، أما أن يتخذ الزوج من بعض المواقف الخاطئة لزوجته أو لأحد من أهلها مدعاة للقطيعة والهجر والشقاق والبغضاء، فذلك من الجور والظلم، والله سبحانه سائله عما فعل، قال الله تعالى: «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾» [البقرة:٢٨١].

والحمد لله رب العالمين.

الحلقة (١٣٤)

# تحذير الداعية من القصص الواهية

# قصة اجتماع الخضر رابع أربعة في كل يوم عرفة

إعداد / علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية، حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، واتخذها المتصوفة دليلاً على أن الخضر حي إلى اليوم، وجعلوها من أذكار الصباح، بل جعلوها ذكرًا خاصًا يكرر مائة مرة يوم عرفة قبل غروب الشمس، متوهمين أن الخضر حيّ يحضر هذا الاجتماع الرباعي بهذا الذكر الرباعي في كل يوم عرفة، مؤكدين حياة الخضر البشرية كما نشرت ذلك مجلة «التصوف الإسلامي» في عددها (١٠٨).

وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة الواهية:

### أولاً: متن القصة

رُوِيَ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجتمع في كل يوم عرفة بعرفات جبريل، ومكيائيل، وإسرافيل والخضر، فيقول جبريل: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله».

فيرد عليه ميكائيل: «ما شاء الله، كل نعمة فمن الله».

فيرد عليه إسرافيل: «ما شاء الله، الخير كله بيد الله».

فيرد عليه الخضر: «ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله».

ثم يتفرقون عن هذه الكلمات فلا يجتمعون إلى قابل في ذلك اليوم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فما من أحد يقول هذه الأربع مقالات حين يستيقظ من نومه إلا وكّل الله به أربعة من الملائكة يحفظونه: صاحب مقالة جبريل من بين يديه. وصاحب مقالة ميكائيل عن يمينه. وصاحب مقالة إسرافيل عن يساره. وصاحب مقالة الخضر من خلفه إلى أن تغرب الشمس؛ (يحفظونه) من كل آفة، وعاهة، وعدو، وظالم، وحاسد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما من أحد يقولها في يوم عرفة مائة مرة من قبل غروب الشمس إلا ناداه الله تعالى من فوق عرشه: أي عبدي قد أرضيتني وقد رضيت عنك، فسلني ما شئت فبعزتي حلفت لأعطينك». اهـ.

## ثانيا: التخريج:

أخرج هذا الخبر الذي به هذه القصة: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/٦٤٧-٦٤٨)، وأبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في «الموضوعات» (١/١٩٦- ١٩٧) قال ابن الجوزي: أنبأنا محمد بن عبد الملك قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب البغدادي) قال: أخبرني عبد العزيز بن علي الأزجي، قال: حدثنا محمد بن علي بن عطية الحارثي قال: حدثنا علي بن الحسن الجهضمي قال: حدثنا ضمرة بن حبيب المقدسي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا العلاء بن زياد، عن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجتمع في كل يوم عرفة بعرفات». القصة، فابن عساكر، وابن الجوزي أخرجاه من طريق الخطيب البغدادي عن عبد العزيز بن علي الأزجي عن محمد بن علي بن عطية الحارثي عن علي بن الحسن الجهضمي عن ضمرة به.

## ثالثا: التحقيق

١- حكم الحافظ ابن كثير على هذا الخبر بأنه موضوع.

أ- والموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ب- ورتبته: هو شر الأحاديث الضعيفة، وأقبحها.

ج- حكم روايته: أجمع العلماء على أنه لا تحل روايته في أي معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مع بيان وضعه، كذا في «التدريب» (١/٢٧٤).

٢- قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/٣٦٣): «وقد روى ابن عساكر من طريق علي بن الحسن الجهضمي، وهو كذاب، عن ضمرة بن حبيب المقدسي عن أبيه عن العلاء بن زياد القشيري عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب مرفوعًا قال: يجتمع كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر، وذكر حديثا طويلا موضوعًا، تركنا إيراده قصدًا، والحمد لله». اهـ.

٣- وحكم الإمام الذهبي على هذا الخبر بأن إسناده مجهول ومتنه باطل، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٣٣٠/٣٩٥٧): «ضمرة بن حبيب المقدسي، لا يُدْرَى من هو، جاء في إسناد مجهول بمتن باطل، روى محمد بن علي بن عطية الحارثي، حدثنا علي بن الحسن الجضهمي عن ضمرة بن حبيب، عن أبيه، عن العلاء بن زياد، عن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي عن أبيه، عن جده عن علي مرفوعًا: يجتمع بعرفة جبرائيل وميكائيل فيقول جبرائيل: ما شاء الله...، فذكر خبر طويلا». اهـ.

٤- وحكم الإمام المزي على هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة بأنه منكر وإسناده مجهول.

يتبين ذلك من قول الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٩/١٨٧/٢٩٢٠): «ضمرة بن حبيب المقدسي روى عن أبيه عن العلاء بن زياد القشيري، عن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، عن جده، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجتمع كل يوم عرفة بعرفة جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، والخضر، فيقول جبريل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله». وذكر حديثا طويلا.

ويروي عنه علي بن الحسن الجهضمي شيخ لمحمد بن علي بن عطية الحارثي، وهو حديث منكر، وإسناد مجهول. اهـ.

٥- وحكم الحافظ ابن حجر على هذا الخبر بأنه منكر رواته مجاهيل، قال الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٤/٤٠٣): «ضمرة بن حبيب المقدسي روى عن أبيه عن العلاء بن زياد حديثا طويلا منكرًا من حديث عليّ اجتماع جبريل وميكائيل والخضر بعرفة، وعنه به علي بن الحسن الجضهمي شيخ لمحمد بن علي بن عطية الحارثي، رواته مجاهيل». اهـ.

قلت: يتبين من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة موضوع باطل منكر، رواته مجاهيل.

٦- وعلة هذا الخبر الحقيقية هي محمد بن علي بن عطية الحارثي، فكما بينا آنفا أن الخطيب قال: أخبرني عبد العزيز بن علي

الأزجي قال: حدثنا محمد بن علي بن عطية الحارثي به.

أ- وقد ترجم له في «تاريخ بغداد» (١٠٧٩/٨٩/٣) فقال: «محمد بن علي بن عطية، أبو طالب المعروف بالمكي صنف كتابًا سماه «قوت القلوب» على لسان الصوفية، ذكر فيه أشياء منكرة مستشنعة في الصفات، حدثني عنه محمد بن المظفر الخياط، وعبد العزيز بن علي الأزجي، وقدم بغداد، فاجتمع الناس في مجلس الوعظ، فخلط في كلامه، وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضرّ من الخالق، فبدّعه الناس وهجروه».

ب- وقد ترجم له الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٩٧٦/٦٥٥/٣) فقال: محمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي الزاهد الواعظ صاحب القوت، حدث عنه عبد العزيز الأزجي وغيره، وأقر ما قاله الإمام الخطيب البغدادي في أبي طالب المكي من ذكره المنكرات المستشنعة في الصفات، وخلطه في كلامه حتى بدّعوه وهجروه، فبطل الوعظ».

جـ- وقد ترجم له الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣٣٩/٥) (٧٧٩٩/١٠١٤) فقال: محمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي الزاهد الواعظ صاحب «قوت القلوب»، ونقل ما قاله الخطيب والذهبي، وأقره أنه يروي المنكرات المستشنعة، وأنه اختلط حتى بدّعوه وهجروه، فبطل الوعظ».

قلت: بهذا يتبين أن الخبر الذي جاءت به القصة موضوع باطل منكر، وعلته أبو طالب المكي المبتدع صاحب الأخبار المنكرة الشنيعة الموضوعة.

وبمثل هذه البحوث العلمية الحديثية ننزه الشريعة المرفوعة عن هذه الأخبار الشنيعة الموضوعة، فكما بينا آنفا أن أبا طالب المكي بلغ به الخلط في كلامه إلى أن قال: «ليس على المخلوقين أضر من الخالق»!!!.

### رابعًا: طريق آخر

وحتى لا يتقول من لا دراية لهم بالصنعة الحديثية فيتوهمون أن للقصة طريقًا آخر به يتقوى الطريق الأول فيزول الضعف، وهذه حجة داحضة يرددها من لا دراية له بدقيق أصول علوم الحديث التي بها يقف الباحث على علل طرق الحديث.

وهذا هو الطريق الآخر للقصة «قصة اجتماع الخضر مع جبريل ومكيائيل وإسرافيل في كل يوم عرفة بعرفة».

فقد ترجم الحافظ ابن حجر للخضر في «الإصابة» (٢٢٧٢/٣٠٦/٢) فقال: «ومن طريق عبيد بن إسحاق العطار حدثنا محمد بن ميسر، عن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، عن جده، عن علي قال: يجتمع في كل يوم عرفة جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر فيقول جبرائيل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

فيرد عليه ميكائيل: ما شاء الله، كل نعمة فمن الله.

فيرد عليه إسرائيل: ما شاء الله، الخير كله بيده.

فيرد عليهم الخضر: ما شاء الله لا يدفع السوء إلا الله، ثم يتفرقون ولا يجتمعون إلى قابل في مثل ذلك اليوم». اهـ.

قلت: ثم بيّن الحافظ ابن حجر علة هذا الطريق فقال: «وعبيد بن إسحاق متروك الحديث».

وإلى القارئ الكريم أقوال أئمة الجرح والتعديل في عبيد بن إسحاق العطار حتى يتبين الطالب لهذا الفن حقيقة ما ذهب إليه الحافظ ابن حجر:

١- الإمام البخاري أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله: فقد أخرج الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٣٤٧/٥) (١٥٠٥/٥٣٧)، وهو يترجم لعبيد بن إسحاق العطار، فقال: سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: عبيد العطار: هو متروك الحديث». ثم ختم الترجمة، فقال: «وعامة ما يرويه إما أن يكون منكر الإسناد، أو منكر المتن». اهـ.

قلت: وقول الإمام البخاري «منكر الحديث» مصطلح له معناه عند علماء الصنعة يتبين ذلك من قول الإمام السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١): «البخاري يطلق: فيه نظر، وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

٢- وترجم الإمام الذهبي لعبيد بن إسحاق في «الميزان» (٥٤١١/١٨/٣) فقال: «عبيد الله بن إسحاق العطار ضعّفه يحيى، وقال الأزدي: متروك الحديث، وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر». اهـ.

قلت: من أقوال أئمة الجرح والتعديل يتبين أن عبيد بن إسحاق العطار متروك الحديث لا تحل الرواية عنه، وبتطبيق قواعد أصول علم الحديث على هذا الطريق نجده يزيد القصة وهنا على وهن، فقد قال الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٣٣): «قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنا؛ لأن الضعف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا، كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

قلت: ولذلك حكم الحافظ ابن كثير على الخبر الذي جاءت به هذه القصة بالوضع كما بينا آنفا، وحكم عليه الإمام الذهبي بالبطلان.

## خامسا: الأثر السيئ لهذا الخبر الباطل

١- هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية أغرى الكثير من القصاص والوعاظ والمتصوفة بأن الخضر حي إلى اليوم. لذلك قال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٩٧/١) عقب هذا الخبر:

«وأما حديث اجتماعه مع جبريل.. فقد أغرى خلقا كثيرا من المهووسين بأن الخضر حي إلى اليوم، ورووا أنه التقى بعلي بن أبي طالب، وبعمر بن عبد العزيز، وأن خلقا كثيرًا من الصالحين رأوه، وصنف بعض من سمع الحديث ولم يعرف علله كتابًا جمعَ فيه ذلك، ولم يسأل عن أسانيد ما نقل، وانتشر الأمر إلى أن جماعة من المتصنعين بالزهد يقولون: رأيناه وكلمناه، فواعجبًا ألهم فيه علامة يعرفونه بها؟ وهل يجوز لعاقل أن يلقى شخصًا فيقول له الشخص أنا الخضر فيصدقه؟».

٢- ومن الآثار السيئة لهذه القصة الواهية أن الوعاظ والقصاص والمتصوفة يجعلونها من أذكار يوم عرفة حيث جاء فيها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما من أحد يقولها في يوم عرفة مائة مرة من قبل غروب الشمس إلا ناداه الله تعالى من فوق عرشه: أي عبدي قد أرضيتني وقد رضيت عنك، فسلني ما شئت، فبعزتي حلفت لأعطينك». اهـ.

## سادسا: بدائل صحيحة في يوم عرفة من الأعمال والأقوال

١- عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة؟ فقال: «يكفر السنة الماضية والباقية». وهذا حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الصيام (ح١٩٧)، وكذلك (ح١٩٦).

٢- ومن الأذكار عظيمة الأجر في يوم عرفة وغيره هذا الحديث الذي في أعلى مراتب الصحة حيث اتفق عليه الإمامان البخاري ومسلم، فقد أخرجه الإمام البخاري (ح٦٤٠٣)، والإمام مسلم (ح٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء إلا رجل أكثر منه». اهـ.

واللفظ للبخاري وأخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (ح٤٨٦)، وأحمد (ح٨٠١٤)، (٨٨٨٢)، والترمذي (ح٣٤٦٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (ح٢٥، ٢٦)، وابن ماجه (ح٣٨٠٦).

قلت: وأوردت هذا الحديث ليطمئن قلب من أراد أن يذكر الله بهذه الكلمات القصيرة في مبناها العظيمة في معناها، وما لذاكرها مخلصًا من عظيم الأجر، فهي في أعلى مراتب الصحة وهي الأصل الذي يعمل به، وذلك لأن هناك حديثا دون المرتبة السابعة بل هو حسن لغيره؛ لشواهده، فعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل ما قلتُ أنا والنبيون من عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

## القصة في كتاب الله



# أصحاب القرية

## الحلقة الثانية

«اتبعوا من لا يسألكم أجرًا...»

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، أما بعدُ:

قال الله تعالى: « وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ
رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)
اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١)
وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢)
أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ
لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ (٢٣)
إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ
فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي
يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ
(٢٧)» [يس: ٢٠- ٢٧].

أخي القارئ الكريم: وقف بنا الحديث في اللقاء السابق عندما وصل الحوار بين المرسلين وأصحاب القرية إلى طريق مسدود؛ بسبب تعنت أصحاب القرية، وإصرارهم على الكفر وتكذيب المرسلين، بل وصل الأمر إلى تهديد المرسلين بالقتل، وعندما علم بذلك العبد الصالح جاء من أقصى المدينة يسعى، وقال: ما قصَّه الله علينا في الآيات السابقة والتي نحتاج معها إلى الوقفات التالية:

أولاً: الرجل الذي جاء يسعى:

نقل ابن كثير - رحمه الله - عن ابن إسحاق فيما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وكذلك مجاهد، أن الرجل كان اسمه حبيب، وقيل: كان يعمل بالحرير، وقيل: كان نجارًا، وغير ذلك، وكان الجذام قد أسرع فيه، وشفاه الله بدعوة المرسلين بعد إسلامه، ونقل القرطبي عن مقاتل أنه حبيب بن إسرائيل النجار، وكان ينحت الأصنام، وبهذا قال غير واحد من أهل العلم.

ونقل القرطبي أيضًا - رحمه الله - وغيره عن قتادة - رحمه الله - أن الرجل كان يعبد الله في غار في أقصى المدينة، فلما سمع بخبر المرسلين جاء يسعى، فقال للمرسلين: أتطلبون على ما جئتم به أجرًا؟ قالوا: لا، ما أجرنا إلا على الله، فأعلن صدقهم، وآمن بهم، وتوجه إلى قومه

يدعوهم لاتباعهم.

وهذه الأقوال كلها ليس عليها دليل من كتاب ولا سنة، ولكنها اجتهادات العلماء، ومعظمها نُقول من أهل الكتاب، ومهما يكن من أمر، فالرجل سليم الفطرة، صادق اللهجة، قوي الحجة لا يخشى في الله لومة لائم، قال كلمات خرجت من مشكاة النبوة تحتاج إلى تأمل، وهذا الذي نرنو إليه.

ثانيًا: «وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ» [يس:٢٠، ٢١].

هذه المقولة تدل على فطرة سليمة وفهم دقيق، فقد استدل على صدق المرسلين بتجردهم في دعوتهم وإخلاصهم لله، فالمرسلون لا يسألون الناس أجرًا على دعوتهم إلى الله، وإنما أجرهم على الله، هذا دأبهم، وهذا ديدنهم من لدن آدم إلى أن ختم الله النبوة بخاتم النبيين وإمام المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهذا واضح جلي في كتاب رب العالمين، نذكر منه أمثلة فيما يلي:

فهذا هود عليه السلام يقول لقومه: «إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» [الشعراء:١٠٧- ١٠٩]، وقال صالح عليه السلام لقومه: «إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾» [الشعراء:١٤٣].

وقال لوط لقومه: «إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾» [الشعراء:١٦٢].

وقال شعيب لقومه: «إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾» [الشعراء:١٧٨- ١٨٠].

وقال الله سبحانه وتعالى على لسان خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم: «أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾» [الأنعام:٩٠].

وقال: «قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾» [الفرقان:٥٧].

وقال: «قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ» [ص:٨٦، ٨٧].

وقال الله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾» [الطور:٤٠].

ومن قبل قال نوح لقومه: «فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾» [يونس:٧٢].

هؤلاء الأنبياء والمرسلون الذين بعثهم الله على مر التاريخ لم يسألوا أقوامهم أجرًا على دعوتهم لهم؛ لأن أجرهم على الذي أرسلهم وهو الله سبحانه وتعالى، وكذلك الرسل لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا، وليس لهم هدف إلا هداية الناس إلى الله، وهكذا فهم الرجل هذا الدليل العقلي الصحيح، ولعله -والله أعلم- كان من المتعبدين على منهج رسل سابقين، وهذا هو الراجح، والله أعلم.

قال ابن القيم رحمه الله تعليقًا على قوله تعالى: «ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ» [يس:٢١]، قال: «موجب الاتباع كونهم مهتدين، والمانع منه مُنتف وهو طلب العلو في الأرض والفساد وطلب الأجر». اهـ.

فالقياس الصحيح أدى إلى نتيجة صحيحة، وعامة ما يصيب أهل النار بسبب عدم إعمال عقولهم إعمالاً صحيحًا، «وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾» [الملك:١٠].

ثالثًا: «وهم مهتدون»:

ومع صدق الرسل في لهجتهم، فإنهم مهتدون لا يدعون إلى باطل، ولكن يدعون إلى حق واضح، يدعون إلى عبادة إله واحد، له الخلق والأمر، وهو الذي يملك الضر والنفع والحياة والموت، يملك الدنيا والآخرة، ويواصل الرجل تقديم الأدلة والبراهين على هداية الرسل، والتي آمن هو بها وأعلن ذلك صريحًا واضحًا أمام قومه، مخرجًا لهم الحجة في معرض المخاطبة لنفسه تأليفًا لقلوب قومه، وتنبيهًا لفطرهم، فقال:

رابعًا:

«وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [يس:٢٢]. أليس من المستقيم في عقول الناس أن يعبدوا الذي خلقهم ورزقهم في الدنيا، وهم بعد ذلك راجعون إليه؟

وهل من الحكمة والعقل أن يعبد المرء من دون الله آلهة صنعها هو بيده لا تملك له ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا؟

خامسًا: «﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣﴾» [يس:٢٣]، إنه لأمر منكر في العقول الصحيحة والفطر السليمة أن يعبد المرء من دون الله آلهة لا تشفع له عند الله، ولا تنقذه من عذاب الله يوم يلقاه.

سادسًا: «إني إذن لفي ضلال مبين» يؤكد لهم الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، أنه لو فعل ذلك أي لو عبد الآلهة التي يعبدها قومه من دون الله، والتي لا تنفع ولا تضر ولا تغني عنه من عذاب الله من شيء لو فعل ذلك يكون في ضلال واضح بيِّن، وهذا تعريض منه بما عليه قومه من ضلال وبفساد اعتقادهم وعبادتهم، وأنه من الواجب عليهم أن يتبعوا هداية الرسل فهي الحق الواضح المبين، ثم أعلن صيحته المدوية.

سابعًا: «﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾» [يس:٢٥]، أعلنها وهو يرجو قومه أن يؤمنوا بمثل ما آمن به فهو يقول لهم: «ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ» أي: ليس ربي وحدي، إنه ربي وربكم ورب العالمين، وعليكم أن تؤمنوا بمثل ما آمنت به؛ حتى تكونوا من المهتدين، وإن لم تؤمنوا بمثل ما آمنت به، فأنا أسمعكم ما لا تحبون، ولا أبالي بما تفعلون.

أعلن الرجل كلمته: كلمة الإيمان والإسلام في وجه قومه قوية مدوية، وهو يعلم أن هذا الإعلان سيكلفه حياته، لكنه لا يبالي على أي جنب كان في الله مصرعه، وهكذا الدعاة الصادقون يقولون الحق، ولا يخافون في الله لومة لائم.

ثامنًا: «﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾» [يس:٢٦]. وهذا نداءٌ علوي من ملائكة السماء يزفون الرجل، ويستقبلونه في الشهداء، ويوحي سياق القصة هذا أن الأمر وصل لمنتهاه بين الرجل وقومه، وأن الرجل نال الشهادة في سبيل الله، بعد أن انقض عليه قومه فقتلوه، وهكذا يصل الرجل إلى منازل من قال كلمة الحق في وجه سلطان قومه الجائر، فيرتفع إلى أعلى درجات الشهادة، وينادى عليه أن ادخل الجنة، هنيئًا بما كنت تعمل في الدنيا.

وهكذا على عادة القرآن الكريم في سياق القصص القرآني يسكت عن تفاصيل كثيرة؛ يجملها ونفهمها من السياق.

ونحن نفهم من سياق القصة أن الرجل جاء ساعيًا إلى الحق، ناصرًا أهله يؤدي واجبه في الدعوة إلى الله، ناصرًا قومه، راغبًا في هدايتهم، وبدأ معهم متدرجًا، مبينًا لهم صحة منهج المرسلين، وسلامة دعوتهم بمنطق عقلي سليم، ونداء فطري حميد، ويبدو أن قومه جادلوه فرد عليهم بالتي هي أحسن وفند مزاعمهم، ورد على شبهاتهم، وأوضح لهم صحة دعوة الرسل وسلامة منهجهم وبُطلان ما عليه قومه، وهنا احتدم الأمر بينه وبين قومه وهددوه وتوعدوه، فأعلن صيحته المدوية أنه لا يبالي بتهديدهم ما دام على الحق، والحمد لله، وهنا وصل الأمر إلى منتهاه وانقض القوم عليه وقتلوه فدخل جنة مولاه.

ومن المناسب هنا أن نذكر قول الله تعالى: «﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾» [آل عمران:١٦٩، ١٧٠].

تاسعًا: «﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾» [يس:٢٦-٢٧]

يا له من مصير كريم صار الرجل إليه عند رب كريم في جنات النعيم، ويا له من خلق رفيع استحق الرجل هذا الكرم عليه، فهو لم يكن له هدف إلا هداية قومه، ولم يحمل في قلبه لهم إلا كل خير في حياته وبعد مماته يتمنى لهم الهداية أيضًا مع ما فعلوه به فهو يتمنى لو علموا الحقيقة حقيقة ما صار إليه وما له من كرامة عند الله فيكون حافزًا لهم على الإيمان بالله واليوم الآخر.

وهذه بلا شك أخلاق الدعاة الصادقين، يُؤذَى من قومه، ويُضيَّق عليه، وقد يُسجن وقد يُقتل ومع ذلك يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». كما صحَّ ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه، جعلني الله وإياكم من المتأسين بمنهج الأنبياء وبإمامهم وخاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وإلى لقاء متجدد استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

# مشهد يوم عظيم الحج

إعداد/ د. أحمد نصر الله خير

الحمد لله العزيز الغفار، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأصلي على النبي المختار، وعلى آله وأصحابه الأطهار الأبرار.. أما بعد:

فإن أركان الإسلام تتميز بسمات ربانية تجعل منها منظومة متكاملة لهذا الدين القيم بعباداته ومعاملاته، وكل ركن يقوم بدوره البنّاء لتشييد هذا البنيان الرائع، فالصلاة مثلاً هي صمام الأمان للفرد، فهي التي تضبط مسيرته، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر ، والصيام مدرسة تهذيب وتطهير للنفس، وتصفية للبدن من أدرانه، وأقصر طريق لتحقيق التقوى خير الزاد ، والزكاة هي النماء وسمو النفس عن أغلال الدنيا وفيها – بجانب العبادة الفردية – المظهر الاجتماعي الرائع من التكافل، وتفقد أحوال كل سائل ومحروم .

أما الحج فهو الركن العظيم الذي يجمع بين الشعائر التعبدية الفردية والحشد الجماهيري الهائل على تقوى من الله وابتغاء رضاه ، كما يجمع بين المناسك وبين ابتغاء الرزق والمنافع كما سمح بذلك العزيز الوهاب بعد أن قال: « وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) » [الحج: ٢٧– ٣٠].

إن اجتماع هذه الملايين في موقف واحد، مع اتحادهم في الزي والوجهة والمناسك، فيه إظهار لقوة وعظمة هذا الدين، وعزيمة أهله، وأنهم قادرون على التوحد والانتظام تحت راية واحدة متى شاءوا، فلا غرو بعد ذلك أن يباهي المولى عز وجل بهذا الجمع الكريم ملائكته الكرام، وعَنْ ابْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ» [أخرجه مسلم ١٣٤٨].

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يباهي بأهل عرفات ملائكة أهل السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شعثًا غبرًا» [ابن حبان ٣٨٥٢، وصححه الألباني].

حقًا إنه مشهد يوم عظيم، ذاك الذي يجعل رأس الكفر إبليس في حال من الصغار والذلة والاحتقار لما يرى من جلال الموقف وعظمة الأمة ، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما رؤي الشيطان يومًا هو فيه أصغر، ولا أدحر ولا أحقر، ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما رأى يوم بدر» [مالك في الموطا (١– ٤٢٢) وضعفه الألباني].

وعودة إلى الماضي إلى تاريخ مناسك الحج نرى أن الخليل إبراهيم عليه السلام ترجع إليه أغلب هذه المناسك ، فعلى يديه بُنيت الكعبة وكان المسجد الحرام أول بيت وُضع للناس في مكة المكرمة، هكذا قرر المولى عز وجل: « وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) » [البقرة: ١٢٧]، وهو الذي أسكن أهله تلك البقاع الطاهرة قبل أن يظهر فيها أي معلم من

معالم الحج، فهو القائل: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم : ٣٧] وهو الذي أمره الله عز وجل أن ينادي في العالمين بالحج إلى هذا البيت المعظم:« ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ » [الحج: ٢٧]

وهو الذي سنَّ لنا الأضحية كل عام بعد أن قال الله عز وجل:« ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠﴾ »[سورة الصافات : ١٠٣- ١١٠].

إن شعيرة السعي بين الصفا والمروة تذكرنا بأول أحداثها التي وقعت بعد أن وطأت أقدام أم إسماعيل عليها السلام تلك الأرض المباركة ، ولعل الإمام البخاري رحمه الله قد تشرف وتفرد بإخراج قصة مناسك الحج وأحداثها الأولى؛ حيث يرويها مطولة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهي بحق جديرة ببحث خاص؛ لاستلهام العبر والدروس من خلال المواقف الإيمانية ، وأتركك أيها القارئ الكريم تستمتع مع أحداث هذه القصة، لنتجول سويًا بعدها في أهم المواقف، فإليك قصة بناء بيت الله الحرام، ولماذا كان السعي بين الصفا والمروة، وبداية تشييد بئر زمزم الذي ترتوي منه الملايين عبر آلاف السنين.

روى البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِه مَا كَانَ خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيل، وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنْ الشَّنَّة، وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَة، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ .

ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيه إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ: لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَك بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا .

ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّة؛ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِه الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ حَتَّى بَلَغَ يَشْكُرُونَ.

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الْمَاء حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاء عَطِشَتْ، وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْه، فَوَجَدَتْ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْه ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَهَبَطَتْ مِنْ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِيَ ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا، وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا.

ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ تَعْنِي الصَّبِيَّ، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ، فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِه كَأَنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ فَلَمْ تُقِرَّهَا نَفْسُهَا، فَقَالَتْ لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتْ الصَّفَا ، فَإِذَا هِيَ بِصَوْتٍ فَقَالَتْ: أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَإِذَا جِبْرِيلُ غَمَزَ عَقِبَهُ عَلَى الأَرْضِ، قَالَ: فَانْبَثَقَ الْمَاءُ فَدَهَشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنْ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا، وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ، أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنْ الْمَاءِ وَلَوْ تَرَكَتْهُ كَانَ الْمَاءُ ظَاهِرًا.

فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلاَمُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ.

قَالَ: فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنْ الْمَاء وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، قَالَ: فَمَرَّ نَاسٌ مِنْ جُرْهُمَ بِبَطْنِ الْوَادِي، فَإِذَا هُمْ بِطَيْرٍ كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا ذَاك، وَقَالُوا: مَا يَكُونُ الطَّيْرُ إِلاَّ عَلَى مَاء فَبَعَثُوا رَسُولَهُمْ، فَنَظَرَ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاء فَأَتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ، فَأَتَوْا إِلَيْهَا فَقَالُوا يَا أُمَّ إِسْمَاعِيلَ أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَكُونَ مَعَك أَوْ نَسْكُنَ مَعَكَ، فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الْغُلاَمُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ؟ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ فَشَكَتْ إِلَيْه، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ وَقُولِي لَهُ: يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِه.

فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّة، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِك. قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الْحَقِي بِأَهْلِك.

فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى فَلَبِثَ عَنْهُمْ

إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ. فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتْ اللَّحْمُ. قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: الْمَاءُ، قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ قَالَ فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ.

فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا؟ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ. قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ، ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ! إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ. قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ. قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ.

قَالَ: إِنَّ رَبَّكَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا، قَالَ: أَطِعْ رَبَّكَ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ تُعِينَنِي عَلَيْهِ. قَالَ: إِذَنْ أَفْعَلَ، فَقَامَا فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَيَقُولَانِ: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، قَالَ حَتَّى ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ، وَضَعُفَ الشَّيْخُ عَنْ نَقْلِ الْحِجَارَةِ، فَقَامَ عَلَى حَجَرِ الْمَقَامِ فَجَعَلَ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [بتصرف من صحيح البخاري ٣٣٦٤].

ألا ما أروع أحداث هذه القصة! وما أعظم دلالاتها التأصيلية الإيمانية! وإن أول ما يطالعنا فيها مدى انقياد واستسلام خليل الرحمن إبراهيم لربه وطاعته؛ حيث يذهب بزوجه وفلذة كبده، وهو صغير رضيع، يأخذهما بعيدًا وبعيدًا جدًا، ويلقي بهما في صحراء جرداء لا أنيس فيها ولا ماء، لا لشيء إلا لأن الله أمره بذلك، فلا هدف ولا سبب غير ذلك ألبتة..

كيف لا يطيع وهو الذي ألقى بنفسه إلى النار؛ حيث اقتضى الموقف نصرة التوحيد، وهو الذي شرع في ذبح ابنه لمجرد أنه رأى في المنام ذلك، ومعلوم أن رؤيا الأنبياء حق وصدق.. واللافت في الأحداث بعد ذلك موقف السيدة الفاضلة أم إسماعيل التي ضربت أروع المثال في الإيمان، والتفويض لله عز وجل، والرضا بقضائه، واليقين بمعيته وحفظه.. يتجلى ذلك أولاً حينما أرادت أن تطمئن أن هذا الإجراء الشديد الأليم إنما كان بأمر من الله، فقالت: «آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟» فلما أن أجاب «نعم» قالت قولتها الإيمانية التي تكتب بماء الذهب: «إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا»!!! حقًا إنه لم يضيعها، بل بعد قولتها تلك بوقت يسير جدًا وقعت المفاجأة الكبرى التي تؤكد لها أن الله لم يضيعها حقًا، وأنه - أبدًا - لا يضيع أهله.. حينما نزل جبريل أمين الوحي عليه السلام فطمأنها كل الاطمئنان «لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ».

ثم نقفز قفزة زمنية طويلة نعبر السنين الطوال بعد ذلك، فإذا بإسماعيل عليه السلام يتزوج بزوجه الأولى التي لا تصبر على ضيق العيش، ولا ترضى بما قسم الله لها، ولا تصبر مع زوجها على مصاعب الحياة، فتشتكي وتقول: «إِنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ»!!! فلا يرى خليل الرحمن أن مثل هذه المرأة ضعيفة الإيمان أهل لأن تكون في كنف نبي من الأنبياء، ألا وهو إسماعيل عليه السلام، فلا يجد بدًا من أن يأمره بفراقها، وما كان من الابن الصالح إلا أن يطيع أباه، ولو في مجرد الإشارة «فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ»..

ثم يعوضه الله عز وجل خيرًا منها: امرأة مؤمنة، تحمد الله في السراء والضراء ولا تشكوه لأحد، بل تثني عليه بالذي هو أهله وهي قانعة النفس، فيكون جزاؤها رضا الله عنها ورضى نبيه الكريم خليل الرحمن «قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ».

وما أحوج نساءنا في هذا الزمان إلى الاقتداء بهذا الخلق، فتفيض البركة ويعم السرور، ويثبت بذلك عتبة الباب، وتدوم المودة والتعاون على البر والخير..

ثم تختم القصة أحداثها بتشييد أول بيت وضع للناس في مكة المكرمة.. وكان في علم الله أنه سيكون قبلة خير أمة أخرجت للناس، تهوي إليه الأفئدة من كل حدب وصوب، ومن كل فج عميق؛ ليشهدوا منافع لهم ولأمتهم.. وكان اللائق بهذا الموقف المهيب أن يختم بالدعاء والثناء الذي لا تزال تردده الأمة على مدى القرون حتى يرث الله الأرض ومن عليها:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

والله نسأل أن يستعملنا لدينه، ويشغلنا بطاعته، ويجعلنا جندًا من جنوده.. آمين.. وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الأمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

# الصبر على البلاء




إعداد / صلاح نجيب الدق

**الحمد لله الذي هدانا إليه صراطاً مستقيماً، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه ربه هادياً، ومبشراً، ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، أما بعد: فإن الصبر على البلاء، ابتغاء مرضاة الله تعالى، له منزلة عظيمة عند الله. ومن أجل ذلك أحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بثمرات الصبر على البلاء، فأقول وبالله تعالى التوفيق:**

الصبر في اللغة: المنع والحبس. [لسان العرب لابن منظور ٤/٢٣٩١].

الصبر في الشرع: حبسُ النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الثياب ونحوهما. [عدة الصابرين لابن القيم ص ١٥].

## معنى البلاء:

الاختبار، ويكون بالخير والشر. ومنه قوله تعالى: « كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) » [الأنبياء: ٣٥] [لسان العرب لابن منظور ١/ ١٥٥].

## أنواع الصبر:

الصبر ثلاثة أنواع، هي:

(١) الصبر على طاعة الله تعالى.

(٢) الصبر عن المعاصي.

(٣) الصبر على المصائب. وسوف نتحدث عن كل منها.

## أولاً: الصبر على طاعة الله تعالى:

يحتاج العبد إلى الصبر عليها؛ لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية. ثم من العبادات ما يُكره بسبب الكسل كالصلاة، ومنها ما يُكره بسببهما البخل كالزكاة، ومنها ما يُكره بسببها جميعا، كالحج والجهاد.

## ثانياً: الصبر عن المعاصي:

ما أحوج العبد إلى ذلك. ثم إن كان الفعل مما تيسر فعله، كمعاصي اللسان من الغيبة، والكذب والمراء ونحوه، كان الصبر عليه أثقل، فترى الإنسان إذا لبس حريراً استنكر ذلك، ويغتاب أكثر نهاره، فلا يستنكر ذلك. ومن لم يملك لسانه في المحاورات، ولم يقدر على الصبر، لم ينجه إلا العزلة.

## ثالثاً: الصبر على المصائب:

مثل موت الأحبة، وهلاك الأموال، وعمى العين، وزوال الصحة، وسائر أنواع البلاء، فالصبر على ذلك من أعلى المقامات؛ لأن سنده اليقين.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ. [البخاري ٥٦٤٥].

وقريب من هذا القسم، الصبر على أذى الناس، كالذي يؤذى بقول أو فعل أو جناية على نفسه أو ماله، والصبر على ذلك يكون

بترك المكافآت. والصبر على أذى الناس من أعلى المراتب. قال اللهُ تعالى: «لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٨٦)» [آل عمران: ١٨٦]. وقال سبحانه: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٩٨) وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ (٩٩)» [الحجر: ٩٧- ٩٩]. وقال جَلَّ شأنه: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ (١٢٦)» [النحل: ١٢٦] [مختصر منهاج القاصدين، ص ٣٤٥ - ٣٤٦]

## أقوال السلف عن الصبر:

(١) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا. [عدة الصابرين لابن القيم ص ٩٥].

(٢) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم. ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له. وقال: الصبر مطية لا تكبو. [عدة الصابرين لابن القيم ص ٩٥]

(٣) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله. [الزهد لوكيع بن الجراح ٢/٤٥٦]

(٤) قال الحسن البصري: الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده. [عدة الصابرين لابن القيم ص ٩٥].

(٥) قال عمر بن عبد العزيز: ما أنعم اللهُ على عبد نعمة فانتزعها منه، فَعَوَّضَهُ مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه. [عُدة الصابرين لابن القيم ص ٩٥].

(٦) قال أبو علي الدقاق: فاز الصابرون بعز الدارين؛ لأنهم نالوا من الله معيته، فإن الله مع الصابرين. [مدارج السالكين لابن القيم ٢/١٦٦]

## آداب الصبر:

(١) من آداب الصبر استعماله في أول صدمة؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى» [البخاري ١٢٨٣، ومسلم ٩٢٦].

(٢) الاسترجاع عند المصيبة. وهو قول: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ».

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول: ما مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلاَّ أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا. قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ. [مسلم ٩١٨].

(٣) سكون الجوارح واللسان، فأما البكاء فجائز. قال بعض الحكماء: الجزع لا يرد الفائت، ولكن يَسُرّ الشامت.

(٤) مِن حُسْنِ الصبر أن لا يظهر أثر المصيبة على المصاب، كما فعلت أم سليم امرأة أبي طلحة لما مات ابنها. [مختصر منهاج القاصدين ص٣٤٧، ٣٤٨].

## كراهية تمني البلاء

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ. [البخاري٣٠٢٥].

قال ابنُ بطال: حكمة النهي أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال العافية من الفتن. وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لأن أعافى فأشكر أحب إليَّ من أن أبتلى فأصبر. [فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٦ /١٨١].

## الصبر على البلاء وصية ربانية:

(١) قال تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ (١٥٧)» [البقرة ١٥٥ - ١٥٧].

(٢) وقال تعالى: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (١٤٣) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٤)» [آل عمران ١٤٢ - ١٤٤].

(٣) وقال جلَّ شأنه: « لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ » [آل عمران ١٨٦].

## الصبر على البلاء وصية نبينا ﷺ:

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ (تعب) وَلَا وَصَبٍ (وجع) وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ. [البخاري ٥٦٤١، ومسلم ٢٥٧٣].

(٢) عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ؟ فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا. [البخاري ٥٦٥٢، ومسلم ٢٥٧٦].

(٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي. قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي. وَلَمْ تَعْرِفْهُ. فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى. [البخاري ١٢٨٣، ومسلم ٩٢٦].

(٤) عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». [مسلم ٢٩٩٩].

(٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ. (يُرِيدُ عَيْنَيْهِ) [البخاري ٥٦٥٣].

## الصبر على البلاء من صفات الأنبياء:

قال الله تعالى مخاطباً نبينا صلى الله عليه وسلم: « فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ » [الأحقاف٣٥].

وقال سبحانه عن بعض الأنبياء: « وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ » [الأنبياء٨٥ - ٨٦].

(٣) وقال سبحانه عن إبراهيم: « رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ » [الصافات ١٠٠ - ١٠٢].

(٤) وقال جلَّ شأنه عن أيوب صلى الله عليه وسلم: « وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ » [ص ٤١ -٤٤].

## (٥) ابتلاء نبينا ﷺ:

لقد ابتلي نبينا صلى الله عليه وسلم وتحمل من الأذى من أجل نشر الإسلام ما لا يستطيع بشر أن يتحمله، ويمكن أن نذكر منها:

١ - طلق عُتبةُ بن أبي لهب رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك طلق أخوه عتيبةُ أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك قبل الدخول بهما؛ بغضاً في رسول الله حين أنزل الله سورة المسد: « تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾ » [المسد ١- ٥]

[البداية والنهاية لابن كثير ٣ /٢٦٨].

٢- عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ». [البخاري٣٨٥٦].

٣- عَنْ عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ (عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ) فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ، مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ، وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمْ الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ. [البخاري ٥٢، ومسلم ١٧٩٤].

٤- رَوى الترمذيّ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ». [صحيح الترمذيّ للألباني حديث٢٠١٢].

## صور من ابتلاء الصحابة:

(١) روى ابنُ ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ الْمُشْرِكُونَ وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ. [صحيح ابن ماجه للألباني حديث١٢٢].

(٢) قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْلُغُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَذَابِ مَا يُعْذَرُونَ بِهِ فِي تَرْكِ دِينِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنْ كَانُوا لَيَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ، وَيُجِيعُونَهُ، وَيُعَطِّشُونَهُ حَتَّى مَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَوِيَ جَالِسًا مِنْ شِدَّةِ الضُّرِّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ حَتَّى يُعْطِيَهُمْ مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْفِتْنَةِ، حَتَّى يَقُولُوا لَهُ: آللاتُ وَالْعُزَّى إِلَهُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، حَتَّى إِنَّ الْجُعَلَ لَيَمُرُّ بِهِمْ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَهَذَا الْجُعَلُ إِلَهُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ؛ افْتِدَاءً مِنْهُمْ مِمَّا يَبْلُغُونَ مِنْ جَهْدِهِ. [سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٠].

(٣) عثمان بن عفان: قال محمد بن إبراهيم بن حارث التيمي: لما أسلم عثمان بن عفان أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطًا، وقال: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث، والله لا أحلك أبدًا حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين، فقال عثمان: والله لا أدعه أبدًا ولا أفارقه، فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه، قالوا: فكان عثمان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية، ومعه فيهما جميعًا امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهما لأول من هاجر إلى الله بعد لوط. [الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٤٠].

(٤) طلحة بن عبيد الله: قال مسعود بن حراش: بينما نحن نطوف بين الصفا والمروة إذ أناس كثيرون يتبعون فتى شاباً موثقاً بيده في عنقه. قلت: ما شأنه؟ قالوا: هذا طلحة بن عبيد الله صبأ (أسلم) وامرأة وراءه تسبه. قلت: من هذه؟ قالوا: الصعبة بنت الحضرمي أمه. [الإصابة لابن حجر العسقلاني ٢/ ٢٢٠].

(٥) الزبير بن العوام: روى أبو نعيم عن أبي الأسود قال: أسلم الزبير بن العوام وهو ابن ثماني سنين، وهاجر وهو ابن ثمان عشرة سنة، وكان عم الزبير يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه النار، وهو يقول: ارجع إلى الكفر. فيقول الزبير: لا أكفر أبدًا. [حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٨٩].

وفي هذا القدر كفاية ، والحمد لله رب العالمين.

# نتيجة مسابقة السنة النبوية

## المستوى الأول

| م | الاسم | العنوان |
|---|---|---|
| ١ | حفصة جبر عبد المحسن خليفة | قرية الشوبك - أهناسيا - بني سويف |
| ٢ | أحمد جمعة محمد السيد | بني مجدول - كرداسة - ٦ أكتوبر |
| ٣ | عبد الرحمن مصطفى حسن السيد | السويس - مساكن العمل |
| ٤ | طارف فتحي سلامة عفيفي | العطف - العياط - جيزة |
| ٥ | فريال أحمد عصمت محمد عبد المنعم | القاهرة - عابدين |
| ٦ | سيدة عبد العال إبراهيم | اسكر - الصف - جيزة |
| ٧ | أنس محمد عبد المنعم محمد الغنام | الفنايات - الزقازيق - شرقية |
| ٨ | رضا محمد عطية فرج | ديرب السوق - ديرب نجم - شرقية |
| ٩ | محمد علي أحمد عبد الله | العجميين - أبشواي - فيوم |
| ١٠ | طارق محمد صبري محمد | النحاس - الزقازيق - شرقية |
| ١١ | أحمد محمد حسين عسل | فرسكور - دمياط |
| ١٢ | أسماء مصطفى حسن سيد | السويس - مساكن المعمل |
| ١٣ | أسماء ربيع أنور توفيق | المماليك -اهناسيا-بني سويف |
| ١٤ | رمضان عنتر محمد أحمد | شوبك - إهناسيا - بني سويف |
| ١٥ | صلاح محمد رزق الحليسي | دمرو سليمان - دسوق - كفر الشيخ |
| ١٦ | عبد الرحمن سالم محمد خليفة | الأعصر - دمياط |
| ١٧ | آية أحمد عطية محمد | الشوبك - إهناسيا - بني سويف |
| ١٨ | فاطمة الزهراء عبد العليم عبد العليم | السنانية - دمياط |
| ١٩ | أحمد سعيد السيد محمد قبطان | سلمنت - بلبيس - شرقية |
| ٢٠ | رقية إبراهيم عبد عبد البديع محمد | القاهرة - المرج - الشرفية |
| ٢١ | بهية محمود حسن محمود | الشوبك - إهناسيا - بني سويف |
| ٢٢ | خضر محمد خضر محمد | ملامس - منيا القمح - شرقية |

## المستوى الثاني

| م | الاسم | العنوان |
|---|---|---|
| ١ | حمدية عبد الله حسين يوسف | اسكر - الصف - جيزة |
| ٢ | شيماء محمود عرنسة | منية دمياط - دمياط |
| ٣ | سمر أحمد محمد بدوي | الشوبك - إهناسيا - بني سويف |
| ٤ | محمد محمد يوسف عمران | قونة - قلين - كفر الشيخ |
| ٥ | أحمد صبري محمد جفيلة | أبو دنقاش - أبشواي - فيوم |
| ٦ | محمد إبراهيم علي مرسي | مدينة الأمل - السويس |
| ٧ | زينب كامل السيد إمبابي | ديرب نجم - شرقية |
| ٨ | صفية جبر عبد المحسن خليفة | الشوبك - إهناسيا - بني سويف |
| ٩ | بهاء جمال جاد عبد الجواد | إهناسيا - بني سويف |
| ١٠ | انتصار كامل السيد إمبابي | كردايس - ديرب نجم - شرقية |
| ١١ | سعيد محمد سعيد يوسف | المحمودية - بحيرة |
| ١٢ | عيد محمد سيد عطية | شبرا الخيمة - قليوبية |
| ١٣ | عبير أحمد كامل محمد | اسكر - الصف - جيزة |
| ١٤ | حمادة محمد محمد عوض | ميت حمل - بلبيس - شرقية |
| ١٥ | نهلة شامي وحيدة فراج | الشوبك إهناسيا - بني سويف |
| ١٦ | آية رجب حسين رضوان | الشوبك إهناسيا - بني سويف |
| ١٧ | سعد الدين محمود عطية محمد | القاهرة - المرج |
| ١٨ | أيمن إسماعيل عباد إسماعيل | الشوبك - إهناسيا - بني سويف |
| ١٩ | شروق محمد جمعة عبد السلام | الشوبك - إهناسيا - بني سويف |
| ٢٠ | علاء سليمان محمد | طوى- ببا - بني سويف |

## المستوى الثالث

| | | |
|---|---|---|
| ١ | عبد الوهاب محمود عبد الغني | أبو الغيط - القناطر الخيرية - قلوبية |
| ٢ | الزهراء عبد الودود محمد علي | اسكر - الصف - حلوان |
| ٣ | هدى حسين سيد حسن | العطف - العياط - جيزة |
| ٤ | سفيان محمد شحات محمود | الشوبك - إهناسيا - بني سويف |
| ٥ | سمر عزيز حبشي | السيالة - دمياط |
| ٦ | زينات السيد عبد العاطي | شبرا النخلة - بلبيس - شرقية |
| ٧ | بدر عثمان علي محمد | منشية البكاري - الهرم - جيزة |
| ٨ | محمد منير عامر منير | كفر دبوس - ههيا - شرقية |
| ٩ | فاطمة محمد محمود محمد | التبين - حلوان |
| ١٠ | إسلام رجب ربيع عبد الحميد | الشوبك - إهناسيا - بني سويف |
| ١١ | محمد معوض علام محمد | الشقر - الفشن - بني سويف |
| ١٢ | محمود السيد مكرم | كفر دبوس - ههيا - شرقية |
| ١٣ | سعيد محمد عبد الله أحمد | العجميين - أبشواي - فيوم |
| ١٤ | أحمد طاهر عبد المتعال مصطفى | الخضيري - ههيا - شرقية |
| ١٥ | أحمد عبد الحميد ربيع عبد الحميد | الشوبك - بني سويف |
| ١٦ | سرور صلاح أحمد يوسف | سيدي سالم - كفر الشيخ |
| ١٧ | عمرو السيد محمد عبد الله | بلبيس - شرقية |
| ١٨ | فاطمة الزهراء عبد العليم إبراهيم جاد | الشوبك - إهناسيا - بني سويف |

## المستوى الرابع

| | | |
|---|---|---|
| ١ | حسني عبد المنعم إبراهيم عطية | ميت أشنا - أجا - دقهلية |
| ٢ | عبد الله حسين مسلم حسن | الحلوس - إسماعيلية |
| ٣ | عبير رياض عبده السقا | دمياط |
| ٤ | رجب سيد حميدة السيد | السنباط - فيوم |
| ٥ | عبد الله محمد شلبي عبد الخالق | عين شمس الشرقية - القاهرة |
| ٦ | مصطفى سعد علي عجمي | العجميين - أبشواي - فيوم |
| ٧ | أسماء سعيد حسن | العياط - جيزة |
| ٨ | ليلى محمد محمد الدمرداش | بلبيس شرقية |
| ٩ | إيمان سيد خليل إبراهيم | الصف - حلوان |
| ١٠ | إيمان أحمد عبد الفتاح محمد علي | بلبيس - شرقية |
| ١١ | سماح إسماعيل عبد المنعم السيد | بلبيس - شرقية |
| ١٢ | رضا السيد محمد السيد | بلبيس - شرقية |
| ١٣ | فاطمة ممدوح عبد الفتاح | السعدية - بلبيس - شرقية |
| ١٤ | نادية عليوة محمد أحمد | بلبيس - شرقية |
| ١٥ | عايدة فايز عبد رب النبي | الصف - حلوان |
| ١٦ | سامية عبد الله سلامة سعود | الصف - حلوان |
| ١٧ | إبراهيم سعيد محمد أبو غزال | أبو صير البدرشين جيزة |
| ١٨ | أحمد رمضان هاشم أحمد | العجميين - أبشواي - فيوم |
| ١٩ | إيمان السيد المهدي محمد | فاقوس - شرقية |
| ٢٠ | مروة عبد الودود محمد علي | الصف - جيزة |
| ٢١ | شيماء السيد أحمد محمد | الفيوم |
| ٢٢ | عبد الله محمد سعد سلومة | العجميين - أبشواي - فيوم |
| ٢٣ | معاذ زكريا حسيني محمد السيد | بلبيس - شرقية |
| ٢٤ | محمد رمضان هاشم أحمد محمد | العجميين - أبشواي - الفيوم |

**سوف يتم توزيع الجوائز يوم الأحد ٢٠-١١-٢٠١١ الموافق ٢٤ من ذي الحجة ١٤٣٢هـ**



# كشاف التوحيد ١٤٣٢هـ

إعداد: سامح أحمد أبو الروس

| الموضوع | الكاتب | الأعداد |
| --- | --- | --- |
| **السلام عليكم : التحرير** | | |
| تنبه الغافل ؛ فالموت يأتي بغتة - عندما ينطق الرويبضة - سبيل المؤمنين - أحداث قدرها رب العالمين - هذه دعوتنا - من نختار - حتى لا تغرق السفينة - الجزاء من جنس العمل - اتقوا الله .. وخذوا من شهركم عبرة وعظة - صدق أو لا تصدق «حول أحداث سوريا» - سياسة الترقيع «حول كثر الاحتجاجات الفئوية» - موائد الحرمان . | | ١ - ١٢ |
| **الافتتاحية : الرئيس العام فضيلة الدكتور/ عبد الله شاكر** | | |
| الاحتفال بيوم الغدير بدعة لا أصل لها - أمة الإسلام أمة مرحومة - العدل في الإسلام شامل لبني الإنسان - التحذير من الفتن - العلماء والمحافظة على الثوابت «١-٢» - يا دعاة الأمة الزموا السنة على منهاج النبوة - أهل السنة وموقفهم من أخطاء العلماء - منح الرحمن في شهر القرآن - أصول شرعية للخروج من الأزمة الحالية - الإسلام أهدى سبيلاً وأقوم طريقًا - ضياع الأمانة أمارة علي قرب الساعة . | | ١ - ١٢ |
| **كلمة التحرير : رئيس التحرير أ / جمال سعد حاتم** | | |
| عام يُقبل وصفحة تطوى - أنصار السنة جماعة دعوة وليسوا طلاب سلطة- وقفات ونظرات في واقع أمتنا - ملتقى أنصار السنة والجماعة السلفية - زلزال البلدان والأمن في الأوطان - رحمة بمصر وأهلها من أصحاب الأهواء- تركيا بين الحنين لأحضان المسلمين والتطلع لرفاهية الغربيين - نهاية رمضان والتغيير بين المطلوب والمشروع | | ١ - ٦<br>٩ - ٨ |
| **القرآن الكريم** | | |
| تفسير سورة الصافات الحلقات «الثانية - الثالثة - الرابعة - الأخيرة» | د . عبد العظيم بدوي | ٩،٧،٨،٢،١ |
| تفسير سورة ( ص ) الحلقة الأولى | | ١٢ |
| من روائع الماضي ( تفسير سورة الفاتحة ) | الإمام/ محمد حامد الفقي | ١٠ |
| الإعجاز العلمي في القرآن الكريم | صلاح نجيب الدق | ٦ |
| دراسات قرآنية ( العظمة في القرآن الكريم ) | مصطفى البصراتي | ١٢ |
| **باب السنة : الشيخ / زكريا حسيني محمد** | | |
| من علامات الساعة انتشار الزنا - من علامات الساعة : كثرة شرب الخمر واستحلالها - لا إكراه في الدين - السنة هي المصدر الثاني للتشريع « ١- ٥ » -هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الاعتكاف - الكتاب والسنة يجب أن تكونا مصدر القوانين في مصر - تغليظ تحريم دماء المسلمين وأعراضهم -الحج عرفة. | | ١ - ١٢ |
| **الفقه الإسلامي وأصوله** | | |
| التيمم - صفة التيمم - أحكام الحيض « ١- ٥ » - الصلاة وأحكامها - مواقيت الصلاة «١ - ٢» - صيام شعبان - أحكام رمضانية سؤال وجواب ؟ | د . حمدي طه | ١ - ١٢ |

| | | |
|---|---|---|
| إعلام المصلين والولاة بمن يقدمونه لإمامة الصلاة «الحلقة الأخيرة»<br>الرخص الشرعية المتعلقة بالصيام . | المستشار / أحمد السيد | ١<br>٩ |
| اللُّمع ببعض سنن الجمع «١- ٢» - صفوف الصلاة فضائل وأحكام<br>منبر الحرمين ( فقه السياسة الشرعية ) | أيمن دياب<br>حسين بن عبد العزيز آل الشيخ | ١،٢،٧<br>٤ |
| أحكام زكاة الفطر - أحكام الحج والعمرة .<br>الفتاوى . | صلاح نجيب الدق<br>التحرير | ١٠-١١<br>١-٢-٨ |
| الاقتصاد الإسلامي : د . علي السالوس : حكم جوائز القروض - المصلحة ومقاصد الشريعة الإسلامية «١- ٢» - من تاريخ البنوك وإيهام الاقتصاديين - الربا حرام، ولكن ما الربا ؟ - أقوال العلماء في ربا الجاهلية «١- ٢» - أعمال البنوك والمصارف - الاستثمار .. أنواعة وأحكامة - الرد على الذين أباحوا فوائد البنوك «١- ٢» . | | ١ - ٨<br>١٠ - ١٢ |
| دراسات شرعية ( أثر السياق في فهم النص / دلالات الألفاظ «١- ٤» - طرق الدلالة «١- ٣»- المقاصد الشرعية «١- ٤»<br>أثر قاعدة الضرورات تبيح المحظورات «١- ٢» . | متولي البراجيلي<br>د/ محمد جبر الألفي | ١-٨<br>١٠-١٢<br>١٠-١٢ |
| **تحذير الداعية من القصص الواهية : علي حشيش** | | |
| قصة النهر الذي خرق من جنة الفردوس إلى صدر الغار - قصة شك عائشة عليها السلام في نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - قصة انتقال النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الأصلاب - قصة المرأة الحسناء وفتنة بعض الصحابة بها - قصة لقمان الحكيم مع نبي الله داود علي السلام - قصة الراكبين الأربعة والبراق في القيامة - قصة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي ليلة النصف من شعبان - قصة أبي موسى والصيام في الصيف - قصة الكشف الرباني لأبي موسى مولى أبي ذر - قصة بناء الكعبة قبل خلق آدم ومبتدأ الطواف - قصة اجتماع الخضر رابع أربعة في كل يوم عرفة . | | ١-٤<br>٦-١٢ |
| القصة في كتاب الله : أصحاب الأخدود «١- ٤» - أصحاب الكهف «١- ٥» - أصحاب القرية «١-٢» | عبد الرزاق السيد عيد | ١ - ٨<br>١٠-١١ |
| من الآداب الإسلامية : آداب عيادة المريض «٦- ٨» - مفاهيم يجب أن تصحح - آداب حرية الرأي والتعبير «١- ٤» - صلة الأرحام «١-٢» - الأدب مع الصحابة «١-٢». | سعيد عامر | ١ - ١٢ |
| الشيعة : نقض نصوص الإمامة عند الشيعة « ٤ » - التاويلات الفاسدة للشيعة حو الصحابة الأبرار - شبهات الشيعة حول الصحابة الأبرار «١- ٦» - شبهات حول الصحابة ( موقعة الجمل ١-٢ ) | أسامة سليمان | ١<br>٣ - ٨<br>١٠-١٢ |
| **دراسات إجتماعية وآداب و أخلاق** | | |
| النصيحة أحكام وآداب «١- ٣» | أيمن دياب | ٣-٥-٦ |
| العفو عن الناس سبيل المحسنين .<br>موقف المسلم عند الفتن .<br>كيف يستثمر المسلم وقته .<br>ثمرات الصبر على البلاء | صلاح نجيب الدق | ١<br>٤<br>٨<br>١٢ |
| خطر يهدد البيوت والأسر / نبذة : حول الطلاق .<br>وقفات نحو تربية الأبناء .<br>الإصلاح بين الناس من عمل المرسلين . | عبده أحمد الأقرع | ٤<br>٥<br>٦ |
| نعمة الأمن .<br>محمد صلى الله عليه وسلم والذين معه . | شوقي عبد الصادق | ٤<br>٧ |

| | | |
|---|---|---|
| توحيد رب العالمين هو سبب الأمن والتمكين .<br>ركائز الشخصية المسلمة . | د . عبد العظيم بدوي | ٥<br>١١ |
| إنهم فتية / نبذة : حول أهمية دور الشباب .<br>منهج السلف سبيل النجاة .<br>العمل الجماعي فضله وآدابه . | أحمد يوسف<br>معاوية محمد هيكل<br>د. أحمد نصر الله خير | ٤<br>٦<br>١٠ |
| باب الأسرة : هيئة المسلم عند الناس وعند أسرته - الأسر الفقيرة والأسر الغنية ودخول الجنة - البيت المسلم يحمل هم الإسلام - الأسرة المسلمة واتباع الشرع - الشكوى بين الجواز والمنع - عقبات في طريق السعادة الأسرية ( الهجر وضوابطه). | جمال عبد الرحمن | ١، ٦، ٧، ٨، ١١، ١٢ |
| **الزهد و الرقائق والطاعات** | | |
| من أطاعني دخل الجنة - الاستقامة طريقك إلى الجنة .<br>الموانع من إنفاذ الوعيد «١- ٢»<br>حياة القلوب وسلامتها - من أسباب المغفرة .<br>فضل المشي إلى المساجد وعمارتها .<br>وقرآن الفجر .<br>بيوت في الجنة<br>منبر الحرمين ( سبيل النجاة وطريق السعادة ) | جمال المراكبي<br>محمد رزق ساطور<br>جمال عبد الرحمن<br>عبد العزيز الشامي<br>أحمد يوسف<br>صلاح عبد الخالق<br>أسامة الخياط | ١ -٢<br>٢-٣<br>٢ ، ١٠<br>٢<br>٥<br>٧<br>٨ |
| **قضايا عقدية و فكرية** | | |
| لماذا التوحيد «١- ٤» . | رشاد الشافعي | ٥ - ٨ |
| الأمن والأمان في الإسلام .<br>القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع .<br>الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهدم الأضرحة .<br>التحذير من مخالفة الشريعة . | د . عبد العظيم بدوي | ٣<br>٤<br>٦<br>١٠ |
| حرمة دماء غير المسلمين وأموالهم وأعراضهم .<br>تذكير الأحباب بالأخذ بالأسباب «١- ٣» .<br>وقفات شرعية مع تطبيق الشريعة الإسلامية «١- ٣» . | المستشار / أحمد السيد | ٣<br>٥ - ٧<br>١٠-١٢ |
| صور من الشرك الأصغر يجب الحذر منها .<br>القول الجازم في الرقى والتمائم .<br>أخلاق المسلمين الفاتحين وشهادات المنصفين .<br>مقاصد الحكم الإسلامي وأثره على الفرد والمجتمع .<br>الوسطية عند أهل السنة والجماعة . | معاوية محمد هيكل | ١<br>٢<br>٣<br>٧<br>٨ |
| حتى لا يتهم الإسلام .<br>السلفية صمام أمان للأمة . | جمال عبد الرحمن | ٣<br>٥ |
| خمس وثلاثون خاصية من خصائص الإسلام ملخص لبعض موضوعات خطبة عرفة<br>وأمنهم من خوف / نبذة : حفاظ الإسلام على أمن غير المسلمين .<br>بدع الجنازات والمآتم .<br>الطريق إلى الله واحد لا يتعدد<br>تقي الدين الهلالي يرد على القبوريين | التحرير<br>أحمد يوسف<br>محمود شلتوت<br>أحمد صلاح رضوان<br>د / تقي الدين الهلالي | ١<br>٣<br>٨<br>٨<br>٨ |
| **واحة التوحيد - درر البحار من صحيح الأحاديث القصار** | **علاء خضر - علي حشيش** | **١ - ١٢** |

# شر البلية تَشَيُّخ الصُّحفية!!

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

فلقد كان من كلام أهل العلم في سالف الزمان قولهم: «شر البلية تشيخ الصُّحفية»، وذلك أن الناس كانوا يحبون العلم والمشيخة حتى صار ذلك فيهم شرفًا يدعيه من ليس من أهله، مما جعل بعض الناس يقبلون على القراءة في كتب العلم والشريعة دون عرض على أهل العلم ودون مدارسة، فظهر فيهم التصحيف؛ فالمُصَحِّف: هو الذي يخطئ في قراءة الصحف، فيحرّف الكلام بغير علم ولا دراية.

مثال ذلك ما قاله بعضهم يوماً: وقال الشافعي: ويُستَحَبّ في المؤذّن أن يكون «صَبياً»، فقيل له: ما العلة في ذلك؟ قال: ليكونَ قادراً على الصعود في درَج المئذنة، وإنما هو «صيّيتاً»، من الصوت. وقال بعض السلف: «من كان شيخُه كتابَه كان خطؤه أكثر من صوابه».

هذا هو التصحيف، وإذا كان حال هؤلاء الصُّحُفية الذين يُصَحِّفون فيحرّفون بعض الكلمات والأسماء دون علم ولا قصد؛ إذا كان هذا الحال جعله العلماء «شر البلية» فكيف إذا كان من يُصَحِّف يحرّف الكلام على هواه، ويتعمد ذلك.

فقد ظهر في زماننا هذا طبقة من المصحّفين أسموا أنفسهم بالصُّحُفيين ليس نسبة إلى التصحيف والتحريف ولكن نسبة إلى الصُّحُف؛ فهم كُتّاب في الصحف، وهم مؤلفون ومفكرون وأدباء ونخبة، يكتبون غالبًا خارج تخصصاتهم ويخرقون نطاق عملهم، ويتجاوزون حدود علمهم، وعندما لاحظوا أن الناس يحبون العلم ويعظمون المشيخة، ذهبوا ليبحثوا في كتب العلم والشريعة عن أسباب الشهرة؛ لجذب الأنظار إليهم، دون تخصص ولا مدارسة مع أهل العلم من العلماء الربانيين، ولم يكن لهم نصيب حتى من الإنصاف، وإنما ذهبوا يبحثون في كتب العلماء عن الزلات والمآخذ والعيوب، فيأخذون منها بغير فهم، ثم يحرّفون ما لا يفهمون، فيلبسون على الناس دينهم، ولا يزيدهم ما سمعوه أو طالعوه في الكتب إلا كما قال الله تعالى: « وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ » [الجاثية: ٩]!!

فبعض هؤلاء الصحفيين الذين يملئون بكتاباتهم صحف البلاد، ويظهرون في الشاشات على العباد؛ ليس لهم هدف إلا الإثارة التي تقوم على التّهييج

إعداد/ سامح أحمد أبو الروس

والمبالغة، فيتعالمون ويتشيخون ويُصَحِّفون على هواهم ما يشاؤون، ويتكلمون بغير علم في دين الله تبارك وتعالى، فهم يتصدرون للكلام في المسائل الكبار التي يهاب العلماء أن يتكلموا فيها، إلا أن تكون مجامع فقهية شديدة التخصص.

وسبحان الله! فلقد تشابهت الأسماء، وتطابقت الصفات، فالمصحّفون المحرّفون لكلام أهل العلم، والصحفيون الذين يتكلمون فيما ليس لهم به علم كلهم شرّ على الأمة، ولا شك يصدق عليهم قول العلماء «شر البلية تشيخ الصحفية!» « فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ » [الأنعام: ١٤٤].

وفي الآونة الأخيرة تجاوزت كتاباتهم حتى وصلت إلى المساس بقواعد الدين ومفاهيمه الكبرى، بجهل وعناد.

وإذا كان بعض هؤلاء شغلوا بالطعن في أهل الإيمان لصد الناس عن ذكر الله، وعن اتباع شرعه، كما قال تعالى: « إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ » [المؤمنون: ١٠٩، ١١٠].

وإذا كان هذا حالهم وشغلهم، فلا يصح لمؤمن أن ينشغل بهم وبأقوالهم، فضلاً عن متابعتهم والتراشق معهم بالكلمات واللعنات والسباب. ولا يصح أن يقبل مؤمن سماع الكذب والإهانة والطعن في أهل الإيمان، وفي دينهم، بل ويقبل على متابعة ذلك والإنصات إليه، والتطوع بنشره، فهذه ظاهرة غريبة!!

فحريٌ بأهل التقوى والإيمان ألا يضيعوا أوقاتهم مع أقوام قال الله تعالى عنهم: « يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ » ومنهم من يحرّفون الكلم عن مواضعه، ومنهم من يحرفونه من بعد مواضعه، ومنهم من يجعلون رزقهم أنهم يكذبون، ذلك أن متابعتهم فتنة «وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ».

يقول الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ » [الأحزاب: ٧٠]، ويقول سبحانه: « وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ » [الحج: ٣٠]، ومدح عباده فقال جل جلاله: « وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ » [المؤمنون: ٣].

فاللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.